مجلة فصلية تُعنى
بالمعرفة الدينية والثقافية

تصدر عن
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والنشرات

العدد السابع/السنة الثانية
ربيع الثاني ١٤٤٠هـ - كانون الأول ٢٠١٨م

# اوراق معرفية


**المشرف العام**

السيد أحمد الصافي

**رئيس التحرير**

السيد ليث الموسوي

**مدير التحرير**

بدر العلي

**سكرتير التحرير**

حسن علي الجوادي

**هيأة التحرير**

عقيل النصراوي – موفق هاشم

مهند السهلاني – حسين علي الشامي

**التدقيق اللغوي**

مصطفى كامل محمود – عمار كريم السلامي

**التصميم والإخراج الفني**

حسام محمد السعدي

# المحتويات


١٠ الأسباب والوجوه التي تحوجنا إلى التفسير
الشيخ محمد مهدي الآصفي

١٥ المعاني الأربعة للتأويل
الشيخ محمد هادي معرفة

١٨ هل نزل القرآن نجوما
الشيخ محمد جواد مغنية

٢٠ «الولاية» و«النبأ العظيم»
الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

٢٢ أول وآخر ما نزل من القرآن الكريم
الشيخ هادي كاشف الغطاء

٢٤ الجبر والتفويض
مرجع الطائفة السيد ابو القاسم الخوئي

٢٦ إمكانية الوصول الى النظام الامثل بالتجارب الانسانية
الشيخ محمد حسن آل ياسين

٢٨ عصر الإفلاس الروحي
الشيخ محمد رضا المظفر

٣٢ منهج التثبت في شأن الدين
السيد محمد باقر السيستاني

٤٠ دعاوى العرفان وتصفية الباطن
آية الله العظمى السيد على الحسيني السيستاني

٤٢ أصالة الصحّة في فعل الغير
الشيخ جعفر السبحاني

٤٤ الشهادة في الطلاق
السيد المرتضى

٤٥ مركز الدراسة الفقهية عند الشيعة
الشيخ علي كاشف الغطاء

٤٨ اجتماع الجرح والتعديل
الشيخ عبد الهادي الفضلي

٥٠ بطلة كربلاء زينب بنت علي عليها السلام
السيد هاشم معروف الحسني

٥٥ حركة التاريخ في مظهر التّفاعل الاجتماعي الثّوري
الشيخ محمّد مهدي شمس الدين

٥٨ عثرة التأريخ
السيد عبد الرزاق المقرم

٦١ الكميت.. ونضاله المرير
الشيخ باقر شريف القرشي

٦٦ الانسان ونموه في مجتمعه
السيد محمد حسين الطباطبائي

٦٨ أداب أسرية في الشريعة الإسلامية
السيد محسن الامين

٧٠ لا إفراط ولا تفريط
الشيخ محمد تقي فلسفي

٧١ ترك التفكير بمستقبل الأولاد الدراسي والجامعي والمهني
الشيخ ياسين عيسى

٧٢ الإكرام والرفق بالزوجة
الشيخ عباس امين العاملي

٧٤ الإسجال بعد المغالطة
ابن ابي الاصبغ

٧٥ الحوار الجمعي في القصة
د. محمود البستاني

٧٦ «فاطمة سلام الله عليها»
الشيخ محمد حسين الاصفهاني

٧٧ خذوا الماء من عيني
الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء

٧٩ أم البنين
الشاعر عقيل اللواتي

# الورقة الأولى ...

تشكل المرأة أهمية كبيرة في بناء المجتمع الانساني ، فلم يقتصر دورها على المهام الاساسية في البيت بل اليوم تقدم درساً في التربية وتقطع شوطاً مهماً في ذلك ، وحاضرنا يشهد لنسوة قد بلغنَ مراتب عليا في تخريج اجيال مندفعة لحب الوطن والارض والدين كما ساهمن في اوقات عصيبة بإسناد الرجال وشحذهممهم نحو مواصلة العيش بكرامة واباء ، ونحن نثق تماماً ان هذه الهمم والعزائم لم تخرج بهذه الروائع في زماننا هذا لولا تأسيهن بسيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام وابنتها الحوراء زينب عليها السلام وام الاشاوس الابطال ام البنين عليها السلام .

فإنهن شواخص الحق وبدائع الخالق ورمز العفاف والحياء والتربية السليمة والاخلاق الاسلامية الاصيلة ، فكل واحدة منهن قد حملت مشعل الكرامة والهداية الالهية ، وكلما نتقدم في الزمن وتتجدد الافكار وتتبدل القيم نحتاج الى الرجوع لسيرة تلك النساء الكريمات فإنهن فيض من العزة والحياء والاسوة الحسنة ، لذا سلطنا النور في عددنا هذا على سيرة البتول والحوراء وأم البنين (سلام الله عليهنّ) لنكون قد اهدينا تحفاً قيمة للمرأة المسلمة وامثلة خالدة ومعيناً من النور والادب والخلق.

الأسباب والوجوه التي تحوجنا إلى التفسير
الشيخ محمد مهدي الآصفي

هل نزل القرآن نجوما
الشيخ محمد جواد مغنية

المعاني الأربعة للتأويل
الشيخ محمد هادي معرفة

«الولاية» و«النبأ العظيم»
الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

أول وآخر ما نزل من القرآن الكريم
الشيخ هادي كاشف الغطاء

# الأسباب والوجوه التي تحوجنا إلى التفسير

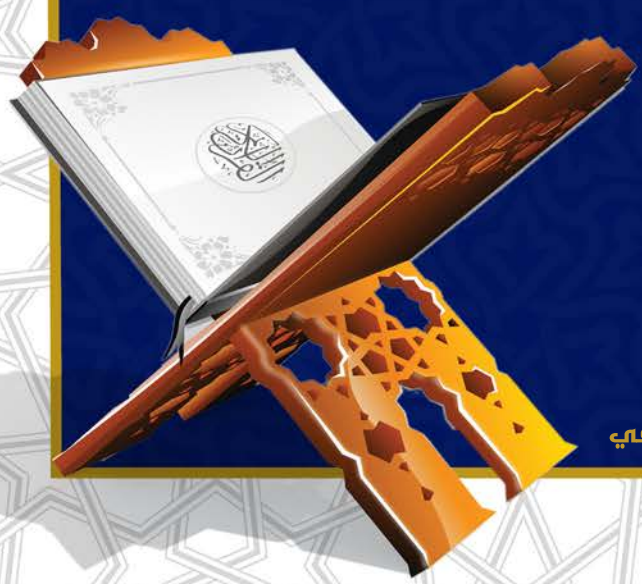

الشيخ محمد مهدي الآصفي

الأسباب التي تحوجنا إلى تفسير النص القرآني عديدة، نذكر أهمها في ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن القرآن أجْمَلَ الكثيرَ من الأحكام والتصورات والمفاهيم، ولا بد لهذا الإجمال من تفصيل وشرح وتبيان كي يمكن الاستفادة الكاملة من النص القرآني، واستيعاب الصورة الكاملة للمفهوم أو التصور أو الحكم الذي يقدمه النص لنا.

ومن هذا القبيل آيات الأحكام، وهي تستغرق مساحة واسعة من القرآن الكريم، وقد أجْمَلَ القرآنُ هذه الأحكام، بينما فصلتها السنة، ولا يمكن فهم هذه الآيات فهماً تفصيلياً وكاملاً من دون الشرح والتفسير.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أن رسول الله صلى الله عليه وآله أُنزِلَت عليه الصلاة ولم يُسَمِّ الله تعالى لهم ثلاثا، ولا أربعا، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسر ذلك لهم**» (١).

وأمثلة ذلك في القرآن كثيرة، فمن الأحكام التي أجملها القرآن، وترك تفسيرها لرسول الله صلى الله عليه وآله والحجج من بعده قوله تعالى: ﴿**أَقامُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ**﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿**وَلِلَّه عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْه سَبِيلًا**﴾(٣).

وترك تفاصيل أحكام الصلاة والزكاة والحج، وهي تستغرق مجلدات ضخمة من الفقه في التفسير والتبيين والشرح من جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام الذين أورثهم رسول الله صلى الله عليه وآله علم الكتاب والشريعة من بعده كما في حديث الثقلين(٤).

كما أن القرآن ذكر طائفة من العمومات والمطلقات دون أن يذكر تخصيصا أو تقييدا لها، وترك بيان التخصيص والتقييد لرسول الله صلى الله عليه وآله وخلفائه من بعده عليهم السلام الذين ورثوا علمه.

ومن هذه العمومات قوله تعالى: ﴿**وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ**﴾(٥) وهي تعم كل المطلقات، وقد ورد في السنة الشريفة تخصيص هذا العام بالمدخول بهن فقط.

وقوله تعالى: ﴿**وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ**﴾ (٦) وهذا العموم يختص بالرجعيات، أما غير الرجعيات من المطلقات فلا أولوية لبعولتهن بهن، وهذا التخصيص وارد في التفسير.

ومن المطلقات التي ورد تقييدها في التفسير من الحديث الشريف قوله تعالى: ﴿**مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُه جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ ولَعَنَهُ وأَعَدَّ لَه عَذاباً عَظِيماً**﴾ (٧) وإطلاق هذه الآية الكريمة مقيد في الروايات بما إذا لم يتب وكأنه قد قتله لإيمانه.

---

(١) الكافي ١: ٢٢٦ / ١.
(٢) الحجّ ٢٢: ٤١.
(٣) آل عمران ٣: ٩٧.
(٤) وذلك في قوله صلى الله عليه وآله: «**إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي**». سنن الترمذي ٥: ٦٦٢/ ٣٧٨٦ و٣٧٨٨.
(٥) البقرة ٢: ٢٢٨.
(٦) البقرة ٢: ٢٢٨.
(٧) النّساء ٤: ٩٣.

عن سماعة، قال: قلت له: قول الله تبارك وتعالى: ﴿**ومَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُه جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ ولَعَنَهُ**﴾.

قال: «**المتعمد الذي يقتله على دينه، فذاك التعمد الذي ذكر الله**».

قال: قلت: فرجل جاء إلى رجل فضربه بسيفه حتى قتله لغضب لا لعيب على دينه، قتله وهو يقول بقوله؟

قال: «**ليس هذا الذي ذكر في الكتاب، ولكن يقاد به والدية إن قبلت**».

قلت: فله توبة؟ قال: «**نعم، يعتق رقبة، ويصوم شهرين متتابعين، ويطعم ستين مسكينا، ويتوب ويتضرع فأرجو أن يُتاب عليه**»[1].

الوجه الثاني: أن القرآن الكريم طرح أنظمة كاملة للتصورات والمفاهيم والأحكام، وليس ما في القرآن أحكاما متناثرة ومختلفة، بل إن هذه التصورات والمفاهيم عند ما ينتظم عقدها في سلسلة واحدة تشكل نظاما مترابطا، منسجما، متكاملا. كل حلقة منه تكمل الحلقة التي تليها، وهي مجتمعة تقدم للإنسان نظاما كاملا للتفكير والتصور.

ومن هذا القبيل (التوحيد) و(القضاء والقدر) و(الاختيار) فإن آيات التوحيد الموزعة في مواضع كثيرة من القرآن عندما تجتمع وينتظم عقدها تقدم لنا تصورا كاملا عن وحدة الخالق، ووحدة السلطان والسيادة في حياة الإنسان، وإلغاء أي سيادة وسلطان من دون سلطان الله، وشرعية كل سيادة وسلطان في امتداد سلطان الله تعالى وسيادته وولايته على الإنسان.

وفي هذه المجموعة المنتظمة من الآيات يرتبط الإيمان بالولاء والبراءة وبسيادة الله تعالى وسلطانه على الإنسان، وعبودية الإنسان وطاعته لله تعالى، وتمرده وبراءته من الطاغوت، وبمسألة الإمامة، وبخلافة الإنسان على وجه الأرض لله تعالى، وهي مجموعة منتظمة من المسائل وقضايا الفكر والعقيدة والعمل مرتبطة ومنسجمة ومتكاملة.

وكذلك قضية (الاختيار) و(القضاء والقدر) و(الخير والشر) و(الهداية والضلالة) مسائل مترابطة ومتكاملة تتوزع وتنتشر في مواضع كثيرة من القرآن، ولا يمكن فهم هذه الآيات فهماً سوياً صحيحاً، ولا يمكن أن نفهم ما يريده الله تعالى في هذه الآيات إلا إذا جمعناها إلى جنب بعض، ونظمناها في سلسلة واحدة مترابطة، وخصصنا عمومات الآيات العامة بالتخصيصات الواردة في القرآن، وقيدنا مطلقات الآيات بالقيود الواردة في آيات أخرى، وضممنا الأفكار المتعددة بعضها إلى جنب بعض. عندئذ فقط يمكن فهم ما يريده الله تعالى في هذه الآيات، ومن دون ذلك لا نكاد نستطيع أن نفهم حقائق هذا الكتاب حق الفهم.

فقد يتلقى المتلقي آية من كتاب الله فيتصور أنها تريد الجبر المطلق، وتسلب الإنسان حريته وإرادته بشكل مطلق، وقد يقرأ آية أخرى فيتصور أن القرآن يقرر الاختيار المطلق، ويفصل الإنسان ومصيره

(١) تفسير العياشي ١: ٢٦٧ / ٢٣٦.

بشكل كامل عن مشيئة الله تعالى وإرادته، بينما لا يقرر القرآن الكريم أياً من المعنيين.

وفهم ما يريده القرآن لا يمكن إلا من خلال جهد علمي يقوم به المتخصصون في القرآن بتجميع هذه الآيات وتنظيم هذه الأفكار، واستخراج وحدة فكرية وتصورية، ونظام فكري شامل من خلالها وهذا هو الجهد الذي يقوم به العلماء المتخصصون في القرآن من خلال (التفسير الموضوعي) للقرآن الكريم.

لقد نزل القرآن نجوما في ثلاث وعشرين سنة، وكان لنزول طائفة كبيرة من آيات القرآن أسباب وعلل يسميها العلماء بأسباب النزول، ولا تكاد تفهم الآية إلا من خلالها.

ومن هذه الآيات ناسخ ومنسوخ ومجمل ومبين. ولا نتمكن من أن نفهم هذه الآيات إلا إذا جمعنا بعضها إلى بعض، ووضعنا بعضها إلى جنب بعض، فإن القرآن يستخدم كثيرا طريقة الإطلاق في بيان حكم أو تصور أو سنة وفي آيات أخرى يذكر الشروط والقيود، وما لم نجمع هذه الآيات ونجعل بعضها إلى جنب بعض، ونفسر بعضها ببعض لا نستطيع أن نفهم كتاب الله وما فيه من أحكام وسنن وتصورات ومفاهيم. ومن الخطأ أن نستخلص حكما أو سنة أو تصورا من خلال آية واحدة من كتاب الله تعالى دون أن نعرضه على سائر الآيات.

أما لماذا يستخدم القرآن هذا الأسلوب في بيان الأحكام والسنن والتصورات؟ فهو أمر له علاقة بأسلوب القرآن البياني ولسنا بصدد شرح أصول هذا الأسلوب وتأثيره الآن.

والطريقة العلمية الصحيحة لفهم آيات كتاب الله هي أن يقوم المفسر بجهد علمي في تجميع هذه الآيات وتنظيمها وتقييد المطلقات، وتخصيص العمومات، وتحديد الشروط منها، ثم ضم هذه الأحكام والتصورات والأفكار بعضها إلى بعض، واستخراج أنظمة شاملة ووحدات فكرية شاملة منها، وهذا هو الجهد العلمي الذي ينهض به المفسر.

الوجه الثالث: أن للنص ظاهرا وأعماقا مختلفة، وكل إنسان يتناول من النص القرآني بقدر ما أوتي من علم وفهم. وقدرة على فهم مراد الله تعالى، فلا يفهم عامة الناس من كتاب الله تعالى إلا ظاهرا من آياته، ومن العلماء من آتاه الله تعالى القدرة على الغوص في أعماق آياته، فيأخذ من كتاب الله قدر ما آتاه الله من علم وبصيرة وفقه، وليس العلماء كلهم سواء في فهم كتاب الله تعالى، فإن لهذا القرآن أعماقا وبطونا مختلفة، وكلما أمعن الإنسان في القرآن الكريم، وأكثر فيه التأمل، وثابر في فهمه وتذوقه أكثر بلغ من فهم القرآن ما لم يبلغه من قبل، ولعل في ذلك بعض السر في غضاضة النص القرآني وخلوده.

ولسنا نقصد أن كتاب الله تعالى مجموعة من الألغاز والمعميات والرموز كما يقوله أهل الباطن، فإن القرآن نور وبلاغ وهدى للناس جميعا، ولا يمكن أن ينهض القرآن بهذه الرسالة في حياة البشرية جميعا إلا أن يكون منفتحا على الناس وبيانا لهم جميعا يخاطب الناس بلسانهم، وبما يفهمون من خطاب،

وليس بالرموز والألغاز.

وإنما نقصد بالأعماق والبطون المختلفة للقرآن، أبعادا مختلفة لحقيقة واحدة ومفهوم واحد، فما يفهمه عامة الناس من ظاهر القرآن هو ما يفهمه العلماء القرآنيون من أعماق القرآن البعيدة، إلا أن أولئك العلماء يبلغون أعماقا من وعي الحقيقة التي يبينها القرآن للناس لا يصل إليها عامة الناس، دون أن تختلف الحقائق التي يتلقاها الناس من ظاهر القرآن عن الحقائق التي يتلقاها العلماء القرآنيون من أعماق القرآن، ولكن شتان بين وعي ووعي وفهم وفهم، وما يبلغه هؤلاء وأولئك.

ولسنا نريد أن نطيل الحديث في هذا الجانب فإن كتاب الله نور وهدى ومنهاج عمل في حياة البشر، ولا بد لفهم هذا القرآن أن تتضافر جهود العلماء ليفتحوا للناس من آفاق هذا القرآن ، ما لا يمكن أن يصلوا إليه ، لولا ذلك . وقد أدرك العلماء المتخصصون في القرآن هذه الضرورة منذ أقدم العصور القرآنية،وتناولوا كتاب الله تعالى بالتحليل والتفسير، ونحن بفضل جهودهم تلك أصبحنا نعي بحمد الله من كتاب الله وآياته وآفاقه ما لم نكن لندركه لولاها . ومن الآيات التي يمكن أن تكون مصداقا واضحا لاختلاف مستوى الفهم والتفسير من قبل العلماء في استكشاف أبعاد وأعماق مختلفة لها، دون أن تتناقض وتختلف هذه الأبعاد فيما بينها :

١ – قوله تعالى : ﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُه كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ والْباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وأَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثالَ**﴾.

٢– وقوله تعالى : ﴿**اللهُ نُورُ السَّماواتِ والأَرْضِ مَثَلُ نُورِه كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ ولا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ ولَوْ لَمْ تَمْسَسْه نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِه مَنْ يَشاءُ ويَضْرِبُ اللهُ الأَمْثالَ لِلنَّاسِ واللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾.

٣– وقوله تعالى :﴿ **وإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُه وما نُنَزِّلُه إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ**﴾.

وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة، وهي من غرر الآيات ، كما يقول العلامة الطباطبائي ﷺ، وهي تحمل أبعادا وأعماقا مختلفة ولظاهرها معنى واضح ومفهوم ، وكلما أمعن الإنسان النظر وتأمل فيها ، فتح الله (تعالى) له من آفاق الفهم والتفسير ما لم ينفتح له من قبل . وهذه التفاسير والتصورات والأفهام غير متناقضة ولا متخالفة فيما بينها، وقد تحدثت عن هذا الموضوع بتفصيل في كتاب (وعي القرآن) وليس كل الناس يستطيع أن يغوص في أعماق القرآن، وليس كل أحد يحسن ذلك، إذا لم يستعن بالمتخصصين من علماء القرآن الكريم الذين رزقهم الله تعالى وعي كتابه .

[مقدمة البرهان في تفسير القرآن]

# المعاني الأربعة للتأويل

الشيخ محمد هادي معرفة

الكلام في حقيقة التأويل أنّه يُستعمل في موردَين:

الأوَّل: في توجيه المتشابه، سواء أكان كلاماً متشابهاً، أمْ عملاً مثيراً للرَّيب، والتأويل بهذا المعنى خاصّ بالآي المتشابه فحسب.

الثاني: في المعنى الثانويّ للكلام المعبَّر عنه بالبطْن، تجاه المعنى الأوّلي المعبَّر عنه بالظَهْر، والتأويل بهذا المعنى عام لجميع آي القرآن؛ فإنّ للقرآن ظهْراً وبطْناً، وربَّما إلى سبعة بطون.

وقد تبيَّن أنَّ التأويل ـ بكِلا الاصطلاحين: هو من قبيل المعنى والمفهوم الخافي عن ظاهر الكلام، وبحاجة إلى دلالة صريحة من خارج ذات اللفظ.

وقد شذَّ ابن تيمية فيما زعَم أنّ معرفة تأويل الشيء إنّما هو بمعرفة وجوده العَيني، قال: فإنّ للشيء وجوداً في الأعيان ووجوداً في الأذهان، والكلام لفظ له معنى في القلب ويُكتَب بالخطّ، فإذا عُرِف الكلام وتُصوِّر معناه في القلب وعُبِّر عنه باللسان، فهذا غير الحقيقة الموجودة في الخارج، مثال ذلك: أنّ أهل الكتاب يعلمون ما في كتُبهم من صفة محمَّد صلى الله عليه وآله وخَبَره ونعْته، وهذا هو معرفة الكلام ومعناه وتفسيره، وتأويل ذلك هو نفس محمّد صلى الله عليه وآله المبعوث، فالمعرفة بعينه معرفة تأويل ذلك الكلام، وكذلك إذا عرف الإنسان الحجَّ والمشاعر وفهْم معنى ذلك، ولا يعرف الأمكنة حتّى يشاهدها فتكون تأويل ما عرفه أوّلاً[1].

وهكذا ذهب سيّدنا العلاّمة الطباطبائي قدس سره إلى أنّ التأويل ليس من مداليل الألفاظ، وإنَّما هو عين خارجية، وهي الواقعية الَّتي جاء الكلام اللفظي تعبيراً عنها، قال: الحقُّ في تفسير التأويل أنَّه الحقيقة الواقعية الَّتي تستند إليها البيانات القرآنية من: تشريع، وموعظة، وحِكمة، وأنَّه موجود لجميع آي القرآن، وليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ، بل هي الأمور العينية المتعالية من أن تحيط بها شبَكات الألفاظ، وأنّ وراء ما نقرؤه ونتعقّله من القرآن أمراً هو من القرآن بمنزلة الروح من

(١) بنقل رشيد رضا في تفسير المنار: ج٣، ص١٩٥ في تفسير سورة التوحيد.

الجسد، والمتمثّل من المثال، وليس من سِنْخ الألفاظ ولا المعاني، وهو المعبَّر عنه بالكتاب الحكيم، وهذا بعينه هو التَّأويل، ومن ثمَّ لا يمسُّه إلاّ المطهَّرون، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۞ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۞ لاَ يَمَسُّهُ إِلاّ الْمُطَهَّرُونَ﴾[ الواقعة: ٧٧ و٧٩]، وقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۞ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [ البروج: ٢١ و٢٢]، وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٣، ٤].

فهذه الآيات تدلّ على أنَّ القرآن النازل كان عند الله أمراً أعلى وأحكم من أن تناله العقول أو يعرضه التقطّع والتفصيل، لكنَّه تعالى عنايَة بعباده جعلَه كتاباً مقروءاً وألبَسه لباس العربيَّة؛ لعلّهم يعقلون ما لم يكن لهم سبيل إلى تعقّله ومعرفته ما دام في أمّ الكتاب، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، فالإحكام: هو كونه عند الله لا ثُلمة فيه ولا تفصيل، والتفصيل هو جعْله فصلاً فصلاً وآيةً آية، وتنزيله على النبي صلى الله عليه وآله[١].

ولعلَّ ما زعَمه ابن تيميَّة ناجم عن خلْط أمرِ المصداق بأمْر التأويل، إذ لم يُعهَد إطلاق اسم (التأويل) على الوجود العَيني، وإنّما يطلق عليه اسم (المصداق) حسب مصطلح الفنّ، فإنّ كلَّ لفظة لها مفهوم هو ما يتصوَّره الذهن من دلالة ذلك اللفظ، ولها مصداق هو ما ينطبق عليه ذلك المفهوم خارجاً، كالتفّاحة لها مفهوم هو وجودها التصوّريّ الذهني، ولها مصداق هو وجودها العينيّ الخارجي، ذو الآثار والخواصّ الطبيعية، ولم يُعهَد إطلاق اسم التأويل على هذا الوجود العيني للتفاحة أصلاً.

ومنشأ الاشتباه أخذُ التأويل من أصل اشتقاقه اللُغَوي بمعنى (مآل الأمْر)، أي ما يؤول إليه أمْر الشيء، كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ﴾ [الأعراف: ٥٣]، أي ينتظر هؤلاء لينظروا إلى ما يؤول أمر هذا الدين، ويوشك أن يأتي اليوم الَّذي ينتظرونه، غير أنَّ الفرصة قد فاتتْهم ولات ساعة مندم.

وأمّا تأويل الرؤيا، فمأخوذ من المعنى الثاني المتقدِّم؛ لأنّه معنى خفيّ باطن لا يعرفه سوى الذين أُوتوا العِلم، وقد استُعمل في تعبير الرؤيا في القرآن في ثمانية مواضع [٢]، واستُعمل بمعنى (مآل الأمر) في خمسة مواضع[٣]، وبمعنى (توجيه المتشابه) في أربع مواضع[٤]، أمّا استعماله بمعنى (البطْن) فقد جاء في الآثار ـ حسبما تقدَّم ـ وقد أُخذ منه تعبير الرؤيا كما نبَّهنا.

فهذه أربعة معانٍ للتأويل استُعملت في سبعة عشر موضعاً من القرآن، ولم يكن واحد منها بمعنى العين الخارجية إطلاقاً.

أمّا رأي سيِّدنا الطباطبائي فلا يعدو توجيهاً

(١) راجع الميزان: ج٥، ص٢٥ و٤٥ و٤٩ و٥٤ و٥٥.

(٢) يوسف: ٦ و٢١ و٣٦ و٤٤ و٤٥ و١٠٠ و١٠١.

(٣) النساء: ٥٩، الأعراف: ٥٣ (مكرّرة)، يونس: ٣٩، الإسراء: ٣٥.

(٤) آل عمران: ٧ (مكرّرة)، الكهف: ٧٨ و٨٢.

لطيفاً للمزعومة المتقدِّمة، وتبدو عليه مسْحة عرفانية غير مستندة، ومن ثمّ فهي غريبة شذّت عنه، وقبل أن نتكلَّم في وجه تفنيدها يجب أن نعرف أن ليس اللوح المحفوظ شيئاً ذا وجود بذاته، كوعاء أو لَوحة أو مكان خاصّ، مادّياً أو معنوياً، كلاّ، وإنّما هو كناية عن عِلمه تعالى الأزليّ الّذي لا يتغيَّر ولا يتبدَّل، وهو المعبّر عنه بالكتاب المكنون وأُمّ الكتاب أيضاً، وغيرهما من تعابير لا تعني سوى عِلمه تعالى المكنون الّذي لا يطّلع عليه أحد إطلاقاً.

وبعد، فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]، لا يعني أنّ للقرآن وجـوداً آخر في وعـاء (أُمّ الكتاب)، وإنّـما جاءت هذه الاستفادة الخاطئة من توهّم المكان من قوله: ﴿لَدَيْنَا﴾، بل المقصود: أنّ لهذا القرآن شأناً عظيماً عند الله في سابق عِلمه الأزليّ، والتعبير بأُمّ الكتاب كان بمناسبة أنّ عِلمَه تعالى هو مصدر الكتاب وأصْله المتفرّع منه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّـهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧ – ٧٩]، يعني نفس هذا القرآن الّذي بأيدي الناس، فهو من كتابٍ مكنون، أي قُدِّر له البقاء في عِلمه تعالى الأزليّ، وجاء هذا المعنى صريحاً بتعبير آخر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، يعني لا يدرِك كُنْهَ معناه ولا يبلغ الاهتداء به على الحقيقة، إلّا الذين طُهِّرت نفوسهم عن الزَّيغ والانحراف ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ* فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢] أي قُدّر في عِلمه أنّه يبقى محفوظاً عن كيد الخائنين وتحريف المُبطلين، لا يمسّوه بسوء أبداً.

هذا، ولعلّنا أوجَزنا الكلام عن آياتٍ تمسّكوا بها في المقام؛ لأنّا أجّلنا البحث عن دلائلها إلى مجال التفسير إن شاء الله.

ثمّ لنفرض أنّ وراء هذا القرآن الّذي بأيدينا قرآناً آخر، ذا وجود مستقلٍّ فما هي الفائدة المتوخّاة من ذلك؟ وهل هناك مَن يعمل به؟ أو أنّه مذخور ليومٍ آخَر، كالطعام يُدَّخر لأيّام الجَدْب، أو المال يُكنَز ليوم الحاجة والافتقار؟! وأخيراً، فما الّذي دعا هؤلاء إلى تسمية ذلك القرآن المذخور ـ فرَضاً ـ تأويلاً ووجوداً عينيّاً لهذا القرآن الحاضر؟ وهل يصحّ ـ إذا كان للشيء وجودان، وجود مبذول ووجود محفوظ ـ أن يُطلَق على وجوده الآخَر عنوان التأويل لهذا الوجود؟!

إنْ هـذا إلّا كـلام منبعث عن ذوق عرفاني، بعيد عن مجالات الجدَل والاستدلال، نعم، سوى استحسان عقلانيّ مجرَّد !.

# هل نزل القرآن نجوما

الشيخ محمد جواد مغنية

قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] لم ينزل القرآن على النبي محمدﷺ جملة واحدة، بل نزل نجوما يتابع أحيانا، ويبطئ أحيانا أخرى حسب المصالح والوقائع التي تحدث آناً بعد آن، ثم استمر إلى وفاة الرسول الأعظمﷺ.. وكان بين أول نزوله وآخره ثلاثة وعشرون عاما، وقد بين سبحانه الغاية من ذلك بقوله:

﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ﴾ أي على تمهل آية آية، ليسهل فهمه وحفظه.. وهذه الآية دليل واضح على خطأ من قال: نزل القرآن على النبي محمد جملة واحدة، وبلغه هو على دفعات، وقد رد سبحانه على من قال هذا بقوله: ﴿وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ﴾ [٣٢ الفرقان] أي لنقوي قلبك على ادراك معاني القرآن وأسراره.. هذا بالإضافة إلى كثير من الآيات التي حكت قصة الحوادث المتجددة أو بينت أحكامها كقصة بدر وأحد والأحزاب وحنين، وقصة نصارى نجران، ويهود المدينة، وكحادثة أزواج النبي، والمرأة التي جادلته في زوجها إلى غير ذلك.

وقال الشيخ المفيد: نزل القرآن على الأسباب الحادثة حالا بعد حال، ويدل على ذلك ظاهر القرآن، والتواتر من الأخبار، واجماع العلماء.

﴿ونَزَّلْناهُ تَنْزِيلاً﴾. في كتب اللغة تنزل أي نزل على مهل، وعليه تكون هذه الجملة تفسيرا وبيانا لما قبلها.

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقانِ سُجَّداً وَيَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾. الضمير في (به) للقرآن، والخطاب في (آمنوا أو لا تؤمنوا) للمشركين الذين قالوا للنبيﷺ: [لن نؤمن لك حتى تفجر الخ.. اقرأ الآية ٩٠ وما بعدها من هذه السورة]، والضمير في (قبله) للقرآن، ويخرون للأذقان أي يسجدون على وجوههم، وذكر السجود مرتين لأن الأول كان تعظيما لله، والثاني لتأثير القرآن في نفوسهم، أما الذين أوتوا العلم من قبل القرآن فالمراد بهم المنصفون من أهل الكتاب الذين آمنوا بمحمدﷺ.

[تفسير الكاشف]

# الولاية والنبأ العظيم

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۞ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۞ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۞ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۞ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ١ – ٥].

تقدم أنّ هناك عدّة معان للـ «النبأ العظيم»، مثل: القيامة، القرآن، أُصول الدين.. إلّا أنّ القرائن الموجودة في مجموع آيات السورة تدعم تفسير «النبأ» بـ «المعاد» وترجحه على الجميع.

ولكنّنا نجد في روايات أهل البيت عليهم السلام وفي بعض روايات أهل السُّنّة أنّ «النبأ العظيم» بمعنى إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام، حيث كانت مثار جدال ونقاش بين جمع من المسلمين، وهناك من فسّر «النبأ العظيم» بالولاية بشكل عام.

وإليكم ثلاث روايات، على سبيل المثال لا الحصر:

١. ما روى الحافظ محمّد بن مؤمن الشيرازي (أحد علماء السنّة) عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال في تفسير ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۞ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾: «**ولاية علي يتساءلون عنها في قبورهم، فلا يبقى ميت في**

**شرق ولا غرب ولا في برّ ولا في بحر إلّا ومنكر ونكير يسألانه عن ولاية أمير المؤمنين بعد الموت، يقولان للميت: «مَنْ ربّك؟ وما دينك؟ ومَنْ نبيّك؟ ومَنْ إمامك؟»**[1].

٢. وروي أنّ رجلاً خرج يوم صفين من عسكر الشام وعليه سلاح وفوقه مصحف وهو يقرأ: ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۞ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ**﴾ فخرج له عليعليه السلام، فقال له: «**أتعرف النبأ العظيم الذي هم فيه يختلفون؟**» قال: لا.

فقال لهعليه السلام: «**أنا والله النبأ العظيم الذي فيه اختلفتم وعلى ولايته تنازعتم، وعن ولايتي رجعتم بعدما قبلتم، وببغيكم هلكتم بعدما بسيفي نجوتم، ويوم الغدير قد علمتم، ويوم القيامة تعلمون ما علمتم**»[2].

٣. روي عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: «**النبأ العظيم الولاية**»[3].

وللجمع بين مضمون ما تناولته الروايات وما جاء في تفسير النبأ العظيم بالمعاد، لابدّ من الانتباه إلى ما يلي:

١. «النبأ العظيم» كمفهوم قرآني ـ مثل سائر المفاهيم القرآنية ـ له من السعة ما يشمل كل ما ذكر من معان، وإذا كانت قرائن السورة تدلّ على أنّ المقصود منه «المعاد»، فهذا لا يمنع من أنْ تكون له مصاديق أُخرى.

٢. كما هو معلوم أنّ للقرآن بطوناً مختلفة وظواهر متعددة، وأدلة وقرائن الاستخراج مختلفة أيضاً، وبعبارة أُخرى: أنّ لمعاني آيات القرآن دلالات التزامية لا يعرفها إلاّ مَنْ غاص في بحر علمها ومعرفتها، ولا يكون ذلك إلاّ للخاصّة من الناس.

وليست الآية المذكورة منفردة في أنّ لها ظاهراً وباطناً دون بقية آيات القرآن، حيث أنّ الأحاديث والرّوايات الشريفة فسّرت كثيراً من الآيات بمعان مختلفة، بعضها ما ينسجم مع ظاهر الآية، والبعض الآخر يشير إلى المعنى الباطن لها.

ولابدّ من التأكيد على حقيقة خطيرة، وهي: لا يجوز قطعاً بأنْ نضع للقرآن معنىً باطناً بحسب رأينا وفهمنا، بل لابدّ من وجود قرائن وأدلة واضحة، أو بالاعتماد على تفاسير النّبيصلى الله عليه وآله والأئمّةعليهم السلام الصحيحة، لكي لا يكون وجود بطون للقرآن ذريعةً بأيدي المنحرفين والمتطرفين وذوي الأهواء ليفسّروا القرآن بحسب ما يشتهون ويرغبون.

[تفسير الامثل]

(١) رسالة الاعتقاد لأبي بكر محمد بن مؤمن الشيرازي (على ما ذكر في إحقاق الحق، ج٣، ص٤٨٤).
(٢) تفسير البرهان، ج٤، ص٤٢٠، ح٩.
(٣) تفسير البرهان، ص ٤١٩، ح٣.

# أول وآخر ما نزل من القرآن الكريم

الشيخ هادي كاشف الغطاء

إن أول ما نزل من القرآن الشريف هذه الآيات وهي قوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، فكانت هذه الآيات أول ما نزل من القرآن الشريف، وكان ذلك في غار حراء في صبيحة السابع والعشرين من رجب، على ما روي عن أهل بيت النبوة عليهم السلام، وفي بعض الروايات ما يدل على ان ذلك قد وقع في صبيحة يوم السبت من اليوم المذكور من الشهر المذكور في السنة الحادية والأربعين من ميلاده الكريم صلى الله عليه وآله وعمره إذ ذاك أربعون سنة وستة أشهر وثمانية أيام، ولا يتخيل ان هذا ينافي قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القرآن﴾ وإن ليلة القدر قد نزل فيها القرآن الكريم وهي في شهر رمضان، وما ذكرناه يقتضي نزول القرآن في رجب في غير ليلة القدر، وذلك لما سيأتي من أن المراد بنزوله في شهر رمضان وفي ليلة القدر هو نزوله بكامله إلى سماء الدنيا لا على صدر نبينا محمد صلى الله عليه وآله، فإنه قد أُنزلَ على صدره صلى الله عليه وآله قِطَعاً متفرقة في شهور متفرقة وسنين متعددة، وكان أول ما نزل منه الآيات المذكورة في صبيحة السابع والعشرين من رجب. وقيل ان ابتداء الوحي كان بمكة عام ٦١١ ميلادي. وروي عن جابر بن عبد الله: إن أول ما نزل من القرآن قوله تعالى ﴿يا أيها المدثر﴾، وروى الحاكم بإسناده عن أبي مسيرة: ان أول ما نزل من القرآن فاتحة الكتاب، ويحكى عن صاحب الكشاف إن هذا القول قال به اكثر المفسرين، ولكن الحق أن المشهور هو القول الأول. وأول سورة اعلنها الرسول بمكة هي سورة (والنجم إذا هوى) وأول سورة نزلت بالمدينة هي سورة (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) وأما آخر ما نزل منه، آية (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينكُم) بعد خطبة حجة الوداع في غدير خم التي نُصِّبَ فيها علي عليه السلام خليفة على المسلمين في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة السنة العاشرة من الهجرة. وروى مسلم عن أبي عباس: أن آخر سورة نزلت منه سورة (إذا جاء نصر الله)، وروي ان آخر آية نزلت من آيات الأحكام هي آية الكلالة في سورة النساء آية (١٧٥)، وعلى هذا فتكون آخر آية نزلت هي ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينكُم﴾ وهو المشهور عند المسلمين ومجمع عليه عند الإماميين، وأخر سورة نزلت منه هي ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ الله وَالْفَتْحُ﴾ وآخر حكم شرعي نزل منه هو حكم الكلالة. وبعد ذلك اختار الله النبي محمدا صلى الله عليه وآله إلى جواره سنة ١١ من الهجرة المصادفة لعام ٦٣٢ من الميلادي.

[الهادي فيما يحتاجة التفسير من مبادي

## الجبر والتفويض

مرجع الطائفة السيد ابو القاسم الخوئي

## عصر الإفلاس الروحي

الشيخ محمد رضا المظفر

## إمكانية الوصول الى النظام الامثل

الشيخ محمد حسن آل ياسين

## منهج التثبت في شأن الدين

السيد محمد باقر السيستاني

# الجبر والتفويض

مرجع الطائفة السيد ابو القاسم الخوئي قدس سره

ان كل انسان يدرك بفطرته أنه قادر على جملة من الافعال، فيمكنه أن يفعلها وأن يتركها، وهـذا الحكم فطري لا يشك فيه أحد إلا أن تعتريه شبهة من خارج.

وقـد أطبق العقلاء كافة عـلى ذم فاعل القبيح، ومدح فاعل الحسن، وهذا برهان على أن الانسان مختار في فعله، غير مجبور عليه عند إصداره، وكل عاقل يرى أن حركته على الأرض عند مشيه عليها تغاير حركته عند سقوطه من شاهق إلى الأرض، فيرى أنه مختار في الحركة الأولى، وأنه مجبور على الحركة الثانية.

وكل إنسان عاقل يدرك بفطرته أنه وإن كـان مختارا في بعض الأفعال حين يصدرها وحين يتركها إلا أن أكثر مبـادئ ذلـك الفعل خـارجـة عن دائـرة اختياره، فـإن من جملة مبادئ صدور الفعل نفس وجود الانسان وحياته، وإدراكه للفعل، وشوقه إليه، وملاءمة ذلك الفعل لقوة من قواه، وقدرته على إيجاده، ومن البين أن هذا النوع من المبادئ خارج عن دائرة اختيار الانسان، وأن موجد هذه الأشياء في الانسان هو موجد الانسان نفسه.

وقد ثبت في محله أن خالق هذه الأشياء في الانسان لم ينعزل عن خلقه بعد الايجـاد، وأن بقاء الأشياء واستمرارها في الوجود محتاج إلى المؤثر في كل آن، وليس مثل خالق الأشياء معها كالبناء يقيم الجدار بصنعه، ثم يستغني الجدار عن بانيه، ويستمر وجوده وإن فني صانعه، أو كمثل الكاتب يحتاج إليه الكتاب في حدوثه، ثم يستغني عنه في مرحلة بقائه واستمراره. بل مثل خالق الأشياء معها «ولله المثل الاعـلى» كتأثير الـقـوة الكهربائية في الضوء. فإن الضوء لا يوجد إلا حين تمـده القوة بتيارها، ولا يزال يفتقر في بقاء وجـوده إلى

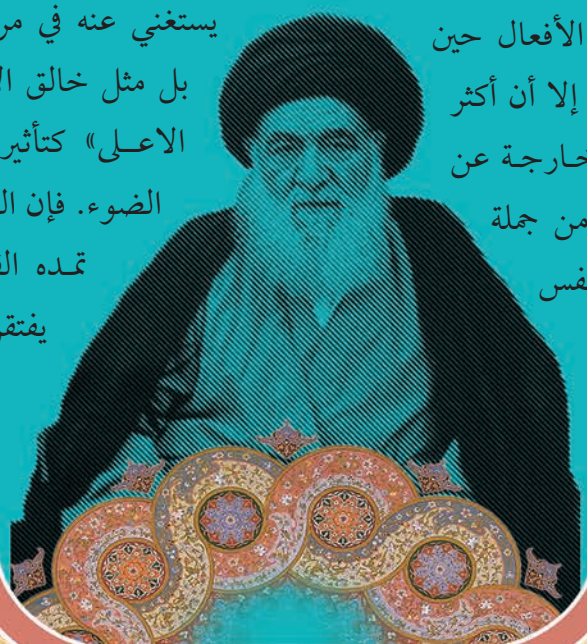

مدد هذه القوة في كل حين، فإذا انفصل سلكه عن مصدر القوة في حين، انعدم الضوء في ذلك الحين كأن لم يكن. وهكذا تستمد الأشياء وجميع الكائنات وجودها من مبدعها الأول في كل وقت من أوقات حدوثها وبقائها، وهي مفتقرة إلى مدده في كل حين، ومتصلة برحمته الواسعة التي وسعت كل شيء.

وعلى ذلك ففعل العبد وسط بين الجبر والتفويض، وله حظ من كل منهما. فإن إعمال قدرته في الفعل أو الترك وإن كان باختياره. إلا أن هذه القدرة وسائر المبادئ حين الفعل تفاض من الله، فالفعل مستند إلى العبد من جهة والى الله من جهة أخرى والآيات القرآنية المباركة ناظرة إلى هذا المعنى، وأن اختيار العبد في فعله لا يمنع من نفوذ قدرة الله وسلطانه.

ولنذكر مثلا تقريبيا يتضح به للقارئ حقيقة الامر بين الامرين الذي قالت به الشيعة الإمامية، وصرحت به أئمتها، وأشار إليه الكتاب العزيز.

لنفرض إنسانا كانت يده شلاء لا يستطيع تحريكها بنفسه، وقد استطاع الطبيب أن يوجد فيها حركة إرادية وقتية بواسطة قوة الكهرباء، بحيث أصبح الرجل يستطيع تحريك يده بنفسه متى وصلها الطبيب بسلك الكهرباء، وإذا انفصلت عن مصدر القوة لا يمكنه تحريكها أصلا، فإذا وصل الطبيب هذه اليد المريضة بالسلك للتجربة مثلا، وابتدأ ذلك الرجل المريض بتحريك يده، ومباشرة الأعمال بها - والطبيب يمده بالقوة في كل آن - فلا شبهة في أن تحريك الرجل ليده في هذه الحال من الامر بين الامرين، فلا يستند إلى الرجل مستقلا، لأنه موقوف على إيصال القوة إلى يده، وقد فرضنا أنها بفعل الطبيب ولا يستند إلى الطبيب مستقلا، لأن التحريك قد أصدره الرجل بإرادته، فالفاعل لم يجبر على فعله لأنه مريد، ولم يفوض إليه الفعل بجميع مبادئه، لأن المدد من غيره، والافعال الصادرة من الفاعلين المختارين كلها من هذا النوع. فالفعل صادر بمشيئة العبد ولا يشاء العبد شيئا إلا بمشيئة الله. والآيات القرآنية كلها تشير إلى هذا الغرض، فهي تبطل الجبر - الذي يقول به أكثر العامة - لأنها تثبت الاختيار، وتبطل التفويض المحض - الذي يقول به بعضهم - لأنها تسند الفعل إلى الله.

وسنتعرض إن شاء الله تعالى للبحث تفصيلا، ولإبطال هذين القولين حين تتعرض الآيات لذلك. وهذا الذي ذكرناه مأخوذ عن إرشادات أهل البيت عليهم السلام وعلومهم وهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. واليك بعض ما ورد منهم:

سأل رجل الامام الصادق عليه السلام فقال: قلت: أجبر الله العباد على المعاصي؟ قال:«**لا**». قلت: ففوض إليهم الامر؟ قال: قال:«**لا**». قال: قلت: فماذا؟ قال:«**لطف من ربك بين ذلك**»[1].

وفي رواية أخرى عنه: «**لا جبر ولا قدر، ولكن منزلة بينهما**»[2].

[البيان في تفسير القرآن]

(١) الكافي: كتاب التوحيد. باب الجبر والقدر والامر بين الامرين.
(٢) نفس المصدر.

# إمكانية الوصول الى النظام الامثل بالتجارب الانسانية

الشيخ محمد حسن آل ياسين

الشبهة:

لماذا يفرض الله على البشرية نظام حياتها ومنهج سلوكها، ولا يترك للإنسان حريته الكاملة في التشريع والتقنين معتمدا في ذلك على فكره ونظره ومستفيدا من تجاربه وخبرته، خطأ وصوابا وحذفا واصلاحا واستمرارا في التعديل والتبديل، حتى يصل في نهاية الشوط الى النظام الامثل والمنهج الافضل؟

والجواب على ذلك:

أولاً: ان وضع النظام والتشريع انما هو من حق «مصدر السلطات» بمفرده ومن دون ان يشاركه فيه أحد غيره.

وهذا هو ما اجتمعت عليه كلمة علماء القانون والسياسة في عالم اليوم.

ولما كنا نعتقد- كما أسلفنا- ان الله تعالى هو مصدر السلطات وانه الحاكم الواقعي والقانوني الذي لا ينازعه منازع كان لا بد من القول بأنه صاحب القول الفصل في وضع القانون واختيار النظام. ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى﴾[1].

و ثانياً:

اننا نعتقد ان العقل البشري مهما أُوتِيَ من قوة الابداع والابتكار والنفاذ لن يستطيع ادراك المصالح بعيدة المدى لمشاكل الانسانية المعذبة وحلولها الصحيحة الا بعد لأي طويل تتعدد فيه التجارب ويكثر التخبط والخطأ والاشتباه، وقد لا ينتهي المطاف به- على رغم كل ذلك- للحل الصائب والنتيجة المطلوبة: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[2].

وثالثاً:

ان وضع النظام من قبل البشر لن يخلو من تحكيم للمآرب الخاصة وايثار للامتيازات الكبرى، وانعكاس للمشاعر الذاتية والطبقية لواضعي النظام، أيا كانوا والى أي طبقة انتسبوا.

ومن هنا كان لابد لإنقاذ الانسانية من عذاب التخبط والجهل والتجارب الخاطئة ان يضع نظامها العام من يعلم حاجاتها وتطلعاتها، ويدرك مشاكلها في يومها وغدها، ويميز بين ما ينفعها ويضرها، ويساوي بين سائر افرادها، بدون تمييز بين فئة وفئة، وطبقة واخرى، وفرد وغيره، وعنصر وسواه، وبلد وما عداه.

وليس في الكون من تجتمع فيه هذه الصفات سوى الله تعالى.

وليست أنظمته وتشريعاته سوى تلك الرسالات التي حملها انبياؤه ورسله الى الارض لتسعد الانسانية وتخرج الانسان من الظلمات الى النور.

وهذا هو معنى «اللطف» الذي عناه علماء الكلام باستنادهم إليه في القول بوجوب النبوة وضرورة استمرارها في الارض ما دامت الحياة وما بقي الاحياء.

[أصول الدين]

(١) [البقرة: ١٢٠].

(٢) [النحل: ٦٤].

# عصر الإفلاس الروحي

الشيخ محمد رضا المظفر

لم يبلغ عصر من عصور التاريخ – ولو في خيال اهلها – ما بلغه العصر الحاضر عصر الكهرباء والذرة من التقدم في العلم والحضارة، ومن نافلة القول ان نقول ايضاً، ان تلك العصور الخوالي لم تتأخر كما تأخر عصرنا في الأخذ بالمثل العليا والاخلاق الفاضلة، فهو بمقدار غناء الثري في الماديات اصبح فقره المدقع في الروحيات وهو كما يسمى بحق عصر النور يستحق ان يسمى أيضاً (عصر الإفلاس الروحي).

وهذا الافلاس في الروحيات ليست تهمة تكال جزافاً وأمراً يحتاج الى تدليل بل هو الواقع الذي لا مفر من الاعتراف به، ولا سبيل للهروب من مواجهته، فمن كان يهمه حقاً اصلاح هذا الطيش المادي والابتعاد عن الدين والخلق العالي، فلابد له من مقابلة هذه الحقيقة وجهاً لوجه والتسليم بها

ثم البحث عن أسبابها قبل التفكير بالعلاج شأن كل مرض لا غنى للطبيب في علاجه من معرفة أسبابه.

إنه لأمر يكبر عن ان تتناوله اقلامنا بالبحث او يصل اليه تفكيرنا بالحل وهو مرض مزمن عالمي قد شمل الأرض كلها على تعدد بيئاتها واديانها وجرف الناس جميعاً على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم الا افراداً معدودين وهم في تناقص مستمر، ولقد صار هذا المرض سمة النهضة الحديثة لا تفارقها وعلى كل حال إذا أردنا البحث عن اسباب تضعضع الروح الدينية في البشر فلعل أهم اسبابه الحرب الدائمة بين العلم والدين..

أما لماذا هذه الحرب؟

وهل هذه الحرب حقيقة؟

اي ان الدين والعلم خصمان حقيقيان أم ان التخاصم .. خداعاً وجدلاً للوصول الى مآرب اخرى من اخضاع العامة لأحد الطرفين؟

فإن هذا هو الذي يستحق البحث وعدم انكشاف هذه الناحية الخطيرة لعامة البشر هو الذي اوقعهم في هذا التبلبل والحيرة، وهو علة العلل في هذا الداء الوبيل العالمي اليوم والذي يجر الى الابتعاد عن الدين عندما يشعرون ان الاخذ بأسباب العلم ومقتضياته ضرورة اجتماعية لا مفر منها، ولاسيما ان العلم يطلب الحق للحق وحده، وهذه ظاهرة امتاز بها هذا العصر خاصة بقوة لا مثيل لها في جميع العصور فكان للعلم على ما هو عليه السلطان المطلق على الناس.

فيمكن للباحث حينئذ ان يستنتج من دعوى الطرفين واعترافهما ايضا ان الدين الحقيقي لا يخاصم العلم الحقيقي وانما الدين بما يصبغ به من ظاهرة او بسبب العادات الموروثة خارج الدين هو الذي يخاصمه العلم او ان العلم المبني على التخمين والحدس والظنون الذي ليس له حقيقة مطلقة هو الذي يعارضه الدين.

والحق انه لم يثبت للعلم الى الآن حقيقة مطلقة لا تقبل التعديل والتبديل تصلح لأن تكون مناهضة للدين ولم يُعرَف الى اليوم ان حقيقة دينية ثابتة لاسيما في الدين الإسلامي عارضت بالصراحة حقيقة علمية مطلقة.

نعم ان النظريات العلمية مهما كانت قيمتها عند حدوثها اذا كانت تخالف المألوف او المعروف عند الناس تأخذ موجة من المعارضة، ولأجل ان تكون هذه المعارضة قوية فعالة تصطبغ باسم الدين.

واذا استطاعت تلك النظريات ان تثبت للنقد والخصومة – وان كانت على خطأ – تصبح مألوفة عند الناس من جديد وتحل محل النظريات او الآراء السابقة فتنسخها، والعجيب انها حينئذ يلتمس لها التأويلات من النصوص الدينية

يصبغونها باسم الدين بعد ان كانت تعارض باسمه كما حدث ذلك فعلاً في نظريات الفلسفة اليونانية التي هجمت على المسلمين في العصور الاولى، ثم هذه النظريات التي تألفها الناس لو هاجمتها ايضاً نظريات جديدة ومكتشفات غير مألوفة هبت لها نعرة المعارضة متذرعة بسلطان الدين، كأن الاولى المتألفة هي التي جاء بها الدين إذا استقر التأويل عليها، إلا ان هذه النظريات الجديدة لو ثبتت ايضاً للخصومة لابد ان تصطلح مع الدين إذ تصبح من المألوفات فيلتمس لها التأويلات من جديد...وهكذا دواليك ما ثبت الدين قائماً.

وكل هذا يدلّنا على ان الدين الحق شيء فوق مستوى العلم ولا يمس الا موضع العقيدة من الإنسان لتربيته على المثل العليا وطلب الخير المطلق والسعادة الدائمة، ومن الخطأ ان نظن انه يجب ان يساير العلم عند الناس الذي لا تثبت له حقيقة مطلقة وهو عرضة في نظرياته وآرائه للتبدل والتعديل سواء في علوم الطبيعة أم علوم الحياة والاجتماع ونحوها، ومن الخطأ ايضاً ان نلتمس التأويل في النصوص الدينية لتطبيقها على ما يتجدد من العلوم، وقد ينكشف بعد حين فسادها، ولذلك نهانا ائمتنا عليهم السلام عن علم الكلام وشددوا النكير على المتكلمين وقالوا ايضاً: «إن دين الله لا يصاب بالعقول».

كما يجب في ناحية العلم ان تتخذه آلة فقط للترفيه عن الحياة الاجتماعية وخادماً لمصالح البشر وانما هداهم الله تعالى اليه لهذه الغاية لا يتجاوزها الى موضع العقيدة من الإنسان وما يتخذه الدين له من مثل عليا واخلاق فاضلة فللعلم ميدان يجول به وللدين ميدان آخر، وليس هذا لقصور الدين الحقيقي عن مسايرة العلم بل لقصور الإنسان في علمه أن يجول في ميدان الدين فيكشف عن الحقيقة المطلقة في هذا الميدان فاذا اهتدى الى شيء من اسرار الشرايع السماوية فبفضل الله تعالى والدين خلق للحق المطلق واذا لم يهتد الى السر فليودع علم ذلك اليه تعالى.

وبهذا يقع التصالح بين ما نسميه العلم عندنا وبين الدين الحقيقي ولكن غيبة هذه الحقيقة عن اكثر الناس لاسيما الذين بهرهم تقدم العلم في هذا العصر من دون ان يكونوا من اهله سببت ان يعلن في نفوسهم الخصام بين العلم والدين، وقد قهرهم الاول بسلطانه فابتعدوا عن الثاني سافرين؟ على ما في ذلك من افلات من القيود واتباع للهوى والشهوات فضعف عندهم الوازع الديني وساد الافلاس الروحي.

ولا أشك ان علماء الغرب الراسخين يدركون منزلة العلم الحقيقية بل يدركون جهلهم بأسرار الكون، وانهم لم يصلوا الى الآن حتى الى شاطئ المعرفة ولم يتكهنوا حتى اسرار الطبيعة باعترافهم، وهم علماؤها، فلذلك هم اقرب الى معرفة خالق الكائنات من اتباعهم المتمسكين

بأذيال علومهم.

ألا ترى إلى (ملكن) الشهير الذي قاس مقدار الشحنة الكهربائية على الكهيرب الذي هو جزء من مئات الاجزاء الموجودة في الذرة التي هي جزء من الجزء الذي يعجز عن رؤيته الجهر كيف يقول: (عرفوا المادة وانا اتكفل بتعريف الروح) على ان كفالته لم تخل من مبالغة بل فيها كل المبالغة، ولكنه يريد ان يقول إنا لسنا في تعريف الروح اكثر عجزاً من تعريف المادة التي ندعي معرفتها، فهو منه اعتراف بالعجز عن معرفة اسرار الطبيعة فضلاً عما وراءها.

.. [و] ان من الحقائق النفسية الثابتة التي ايدتها التجارب في مختلف العصور والعهود ما تضمنته كلمة خالدة لإمامنا الحسين: «الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على السنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم فاذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون» وهكذا قل في كل عقيدة حتى هذه العقائد التي خلقها العصر الحاضر كالعقيدة الوطنية والقومية وليس هذا ما يبعثك على اليأس من النهضة والاصلاح بل هي الحقيقة التي يجب ان نسكن اليها وان تبنى عليها النهضة سلباً وايجاباً فاذا فهمنا كيف تربى العقائد وتغذى من هذا الطريق المرموز اليه وكيف تبطل وتتضاءل من هذا التمحيص وعلمنا ان هذا أمر طبيعي في نفوس البشر نستريح من الالم النفسي المضني عندما نشاهد نقائض البشر ونقائصهم ويزيد أملنا في الاصلاح الممكن الذي لا يطلب اكثر منه في الشرائع السماوية أو المذاهب الاخلاقية.

[مجلة الدليل: العدد العاشر]

# منهج التثبت في شأن الدين

السيد محمد باقر السيستاني

(ح ٦: الرؤية التشريعية للدين)

الجانب التشريعي للرؤية الدينية

وهو الجانب المتضمن لبيان أسس التشريع الديني التي تناسب الرؤية الدينية في شأن الخالق والكون والإنسان- على ما تقدّم تفصيله-، وتتلخص في ضمن أمور:

(الأمر الأول): إن خير تشريع لحياة الإنسان ما وافق تكوينه الخارجي والنفسي، وأي سبيل تشريعي آخر يتخذه الإنسان - وإن كان يبدو نافعاً للوهلة الأولى بما يغري المجتمع فترة من الزمن- يستتبع ردود فعل ومضاعفات سلبية بتراكم آثاره تدريجاً حتى يؤدي إلى رفضه أو تبدّله إلى معضلة في حياة الفرد أو المجتمع.

(الأمر الثاني): إن التشريع الملائم لخِلقة الإنسان مودع في فطرته، قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[1]، وقال: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[2].

(الأمر الثالث): إن عمق التشريع في المنظور الديني يتجاوز المستوى المنظور في التشريع الوضعي الإنساني.. فالتشريع الإنساني أشبه بأداة للفرض والإلزام، وممهّد للحكم الجزائي، كما أن الحكم الجزائي المترتب على مخالفته مجرّد عقوبة رادعة ذات أبعاد تربوية للمجتمع، وقد تكون ذات أبعاد تربوية للفرد أيضاً.

وأما التشريع في المنظور الديني، فهو يرى أن

(١) الشمس: ٨.
(٢) الحجرات: ٧.

العمل الفاضل والحكيم وأضدادهما يكونان جزءًا من بنية الإنسان الخالدة ولبنة في وجوده الدائم، فهو يثبت في كيانه ويساهم في تكوين قوامه، من غير فرق في ذلك بين اطلاع الآخرين على هذا العمل واستحسانهم له ومجازاتهم عليه أو لا، قال تعالى: ﴿**أَلْيَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[1]، وقال: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[2] وبذلك تكون هذه الحياة دار تربية وتخرّج للإنسان؛ فإذا تربى فيها تربية حسنة أنتجت قلباً سليماً ونفساً زاكيةً وكان له درجته ونتاجه في الحياة الأخرى، كما قال تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[3]، وإن تربّى تربية سيئة كان قلبه آثماً[4] وتَلقّى ما يناسب ذلك في الحياة الأخرى.

فهذه الحياة بسرّائها وضرّائها وأفراحها وأتراحها هي أوراق تربوية يمكن أن يجعل الإنسان منها سبيلا إلى تربية سليمة أو سقيمة.

(الأمر الرابع): إن مدار هذا التشريع على مراعاة الحقوق الفطرية بقسميها الأولية والثانوية

فالحقوق الفطرية الأولية:

(١) حق الله تعالى الذي هو الخالق المربي المنعم على الإنسان، وعلى هذا الحق يتفرّع لزوم مراعاة الأدب معه بما حُدّد في الأديان بطقوس عبادية خاصّة، كالصلاة والصيام والحج والاعتكاف والكفارة والتوبة إلى الله تعالى واستغفاره، وكذا مطلق ذكر الله تعالى بالثناء والشكر والإذعان.

(٢) حق الوالدين على الإنسان، بخلق الإنسان منهما فهما منشأ وجوده، وبإحسانهما إليه برعايته وتولّي أموره؛ فلا يصح الانتساب إلى غيرهما بالتبنّي، ويلزم مصاحبتهما بالمعروف- لا سيما في حال الكبر-.

(٣) حق الأرحام والقرابة، بما للإنسان معهم من وشيجة في الخلقة تترك بطبعها آثاراً فطرية في نفسه، وعليها يبتني لزوم صلة الرحم وحرمة قطيعته.

(٤) حق الجوار بلحاظ تأثير القرب المكاني في الفطرة الإنسانية والهواجس التي تثيرها هذه الفطرة،- ولا سيّما إذا كان الجوار طويلا-.

(٥) حق المشاركين في العقيدة الحقّة بلحاظ أن هذه المشاركة تمثل قرباً روحياً واشتراكاً في الثقافة المناسبة التي تقرب الإنسان إلى المسيرة الصحيحة من غير تعصب وظلم ضد الآخرين ممّن ليس مشاركاً في العقيدة-..

(٦) حق الإنسانية التي هي وشيجة مشتركة بين الناس توجب استحقاقاً لبعضهم على بعض بحسب قانون الفطرة، وإن كان مخالفا في العقيدة، قال تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ**

(١) النور: ٢٤.
(٢) الإسراء: ٣٦.
(٣) الشعراء: ٨٩.
(٤) كما قال تعالى في كاتم الشهادة: ﴿**وَلا تَكْتُمُوا الشهَادةَ وَمَنْ يكْتُمْهَا فَإنهُ آثِمٌ قلبُه**﴾

**وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾**[1]، ومن كلام للإمام علي عليه السلام: «**وأنّ الناس.. صنفان، إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق**»[2].

(٧) حق الحيوان في عدم إيذائه بغير مبرر عقلائي، وتحريم أكله في حال التعسف في إماتته؛ ولذا حُرمت المنخنقة [3] والموقوذة[4] والمنطوحة[5] كما جاء في السنّة ضرورة ذبح الحيوان بأداة حادة، ومن الواضح أن الحكمة فيه عدم تعذيب الحيوان، وكذلك وحرمة حبسه بغير إنفاق[6].

(٨) حق النفس في الاستجابة للرغبات التي هي من اقتضاءات الإنسان من غير تعدٍّ وإسراف، ومنها الرغبة الفطرية في الحياة؛ فلم يجوِّز التشريع للمرء قتل نفسه. ومنها الرغبة في السلامة؛ فلم يجوِّز له إلحاق الضرر البليغ بها. ومن ذلك أيضاً الرغبة في الصحة؛ فوصيَ بمراعاتها، ووردت جملة من الوصايا الصحية في أبواب الأطعمة والأشربة وغيرها من كتب الحديث. وأما الحقوق الثانوية فهي حقوق ناشئة من الالتزامات، كالعهود والمواثيق والأمانات- ولو كانت للأعداء-، قال تعالى:

(١) الممتحنة ٨.

(٢) نهج البلاغة: ص ٤٢٧ .

(٣) وهي التي تخنق فتموت..

(٤) وهي التي تضرب بالخشبة فتموت .

(٥)وهي التي ماتت بنطح حِموان مثلها.

(٦) وهناك في الدين وصايا في شأن المياه والبيئة يلاحظ فيها تحرّي الحكمة والذوق الرفيع والهادف في تنظيم الحياة من قبيل النهي عن قطع الأشجار في الحرب، والنهي عن التبوّل في الماء، وغير ذلك.

**﴿انَّ اللهَ يَأمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إلى أَهْلِهَا﴾**[7]، وقال: **﴿أوفوا بالْعُقُودِ﴾**[8]، وجاء في شأن الاتفاق مع غَير المسلمين: **﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾**[9][10].

(الأمر الخامس): إن هذا التشريع يراعي الصفات الفاضلة الإنسانية فيُلزم بالأخذ بها في مساحة، ويحبذ الأخذ بها في مساحة ثانية، حسب مستوى الحسن والقبح العقلي في مواردها والآثار الإيجابية والسلبية المترتبة عليها فمن الفضائل الإنسانية التي يكثر ذكرها في الكتاب والسنة:

(١) تجنب الاعتداء على الآخرين في نفس أو بدن أو عرض أو جاه أو مال، حتى مثل السخرية والغيبة ومنه التعسف في استعمال الحق.

(٢) الإحسان، ولا سيّما إلى صاحب النعمة كالوالدين، وإلى المحتاجين كالفقراء، والأيتام،

(٧) النساء: ٥٨.

(٨) المائدة:١.

(٩) التوبة: ٧.

(١٠) وهذه الحقوق وخصوصا في بعض تفاصيلها يتمَّيز بها الدين في بعض الثقافات الحديثة، مثلا حق الوالدين في الكبر ورضاهما عن الأولاد؛ فإنه حق مهمل في الثقافة الغربية حتى أن كثيرا من الوالدين في دار العجزة في البلاد الغربية يشكون من أولادهم، فإنهم يجدون لأنفسهم هذا الحق على أولادهم بالفطرة، ولكن الثقافة السائدة عندهم لا تتبنى مراعاة هذا الحق، وكذلك حق الجوار في الإسعاف والإحسان، فإنه أيضا مهمل، ومن ثَم لا يطّلع بعض الجيران على أحوال بعض آخر، ولا يهتم بعضهم ببعض. ولقد اطلعتُ على أشخاص رغبوا في الإسلام من جهة منحاه الفطري في إثباته لمثل هذه الحقوق، وتثقيف أهله على ثقافة تقود إلى السعادة مراعاتُها، من دون مطمع مادي أو مآرب أخرى.

وغيرهم.

(٣) الوفاء بالالتزام.

(٤) العفاف في الاستجابة للغريزة في مطلق مظاهرها.

(٥) الشكر للإحسان والعرفان للجميل.

(٦) الحياء من اطلاع الآخرين على الخصوصيات الخاصة وتجنب الفحش من القول.

(٧) الصدق، ولا سيّما في مقام الشهادة.

(٨) الأدب والاحترام مثل الابتداء بالسلام.

(٩) العدل بين الناس والإنصاف من النفس.

(١٠) الحزم في مقام الإصلاح وإجراء العدل.

والوصف الجامع لهذه الصفات الفاضلة وأضدادها هو: (المعروف) و(المنكر)؛ فـ (المعروف): كل ما عرفه الإنسان بفطرته واستأنس به، و(المنكر): كل ما استوحش منه الإنسان بفطرته.

وقد ورد الحث على المعروف والترغيب عن المنكر في مواطن عديدة في النصوص القرآنية؛ حتّى جُعل من علائم صدق رسالة النبي صلى الله عليه وآله أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

[الأحكام الشرعية مصاديق للمعروف والمنكر]:

إنّ مدار الأحكام كلها على رعاية الفضائل العشرة المتقدّمة؛ فهي تفصيل وبسط لها، ومصاديق لمفاهيمها..

فالعبادات من الصلاة وأخواتها آداب مع الله سبحانه رعاية لعظيم حقه على خلقه وإحسانه إليهم، والزكاة إحسان إلى الفقراء ورعاية للصالح الإنساني العام، والحث على المعروف والترغيب عن المنكر ضرب من الإحسان لمن وجّه إليه خاصّة وللمجتمع العام؛ فهو تعاون على البرّ والفضيلة، والعقود والإيقاعات التزامات يجب الوفاء بها ما لم تكن سبيلا للتعسف أو إلزاماً بالمنكر والمحظور، وإيجاب الستر ومنع الإغراء وتحريم النكاح من المحارم رعاية للعفاف، والميراث إحسان إلى الأرحام والأزواج، ورعاية للوشيجة الرابطة بينهم، والقضاء تحكيم للعدل ومنع للجور، والشهادات أدوات للحكم العادل، والأحكام الجزائية من القصاص والحدود والتعزيرات إعمال للحزم للردع عن المحظورات والمنكرات، والديات تدارك للاعتداء.

(الأمر السادس): إنّ الحقوق والمصالح التي يلحظها الإنسان تتوزع على مساحتين:

الأولى: مساحة واضحة يدركها العقل بنحو صريح وظاهر، وتحكم فيها الفطرة من غير لبس، ويكون التشريع الديني موافقاً لما تقتضيه الفطرة في هذه المساحة؛ إذ هي غرس الخالق المشرّع في نفس الإنسان.

الثانية: مساحات رمادية يتشابه فيها الأمر، فلا يخلص العقل فيها إلى موقف جازم وواضح [1]، فلا

(١) السّر في تكوّن هذه المساحة أمر ان:

١. تشابه المعاني في حدودها الملاصقة لغيرها؛ لضعف العوامل المميزة لها في المساحة الحدودية، مما يحوج إلى

بدّ من إيكال تشخيص مقتضى الحكمة والفضيلة فيها إلى التشريع.

وورد التنبيه في النصوص الدينية على هذا الأمر في مقام معالجة الهواجس التي كانت تثيرها هذه الأحكام بأسلوب لطيف ورائع لا تحكم فيه ولا تعسف في فرضه والإقناع به، ومن أمثلة التشريعات التي بُيِّنَت الحكمة فيها:

(١) قوامة الرجل على المرأة، وقد عُلّل بما في الآية الشريفة: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾، ومفادُ هذا التعليل: أنّ هذا الحكم مما تقتضيه طبيعة

تدخل التشريع فيها، نظير الحدود الواقعة بين الدول والمحافظات والمدن والأقضية والنو احي المتجاورة؛ فإنّها تكون مبهمة، ومحتاجة إلى القانون لتحديدها. وكذلك الحد في حدود المفاهيم العامة، كمفهوم «الجوار»، فإنّ له مساحة واضحة تتمثل فيمن كان بيته قريباً من الإنسان، وله مساحة رمادية تبرز عند الابتعاد تدرلجاً، ويحصل التردد في اعتبارها من جملة البيوت المجاورة أو من غيرها. وعلى هذا الأساس: تكون حدود الحقوق والاستحقاقات الفطرية واضحة في مر اكزها ومبهمة في حوافها وأطر افها، فعلى سبيل المثال: إذا حاز الإنسان أرضاً بمقدار حاجته كان أولى بها- بحكم الفطرة-، ولكن إذا حاز مساحات واسعة- من غير حاجة إلى بعضها- تتردد الفطرة العامّة في كونه أولى بجميعها من غيره الذي يحتاج إلى تلك الأرض المهملة. كما أنّ الفطرة تحكم بعدم اتصاف الإنسان- عند صغره- بالرشد الذي يؤهله لشمول أحكام الكبار له، ولكن كلما يكبر بمقدار معيّن يقع التردد في بلوغه لتلك المرتبة أو عدم بلوغه لها، فلا بدّ من بتّ القانون في هذه المساحة، وتحديد سن الرشد له.

٢. وجود مشاعر أخرى للإنسان غير المشاعر النبيلة يمكن أن تشتبه بها نظير الإفراط في الرقّة أو الحدّة أو الأنانية وغيرها، فيقع الشكّ في شأن نبلها وفضيلتها، فتمثل بذلك مساحة متشابهة للاحكام الفطرية.

الرجل والمرأة فإنّ المزايا المجعولة لكلّ منهما في حقل من حقول الحياة تقتضي إناطة قوامة الأسرة بالرجل، بما يكون في صالح الرجل- إن أحسن أداءها- وفي صالح المرأة- إن أحسنت الاستجابة لها-.

(٢) تفاوت حقوق واستحقاقات الرجل المرأة، وقد أُشير إلى علته في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾، فتفاوت الأدوار المناطة بكلّ منهما- حيث أنيط الدفاع والحماية وتوفير مستلزمات الحياة بالر جل، والأمومة ورعاية البيت وإدارته بالمر أة - يوجب الاختلاف بينهما في الأحكام-.

(٣) جَعل حصة أب المتوفى من الميراث أقل من حصة أبنائه، إذ جُعل له مع وجود الولد السدسُ ولو كان ولداً واحداً-، مع كون ذلك مخالفاً لما يفترض في مجتمع القبيلة- الذي يكون فيه الأب هو المتحكم في شؤون الحياة- من جعل كلّ شيء للأب- وخصوصاً إذا كان الأولاد إناثا أو صغاراً-، وقد ورد في الآية الشريفة- بعد بيان هذا الحكم-: ﴿**آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾، وترمي هذه الجملة إلى أن الصحيح انتقال الثروة إلى الأبناء، لكونهم أنفع من الآباء؛ إذ يشكّلون الجيل المقبل، كما أنّ ذلك موافق لطبيعة الإنسان، فإنّه يحب أن يكون له امتداد بعد مماته في ذريته، وذلك يقتضي انتقال الأموال إلى أبنائه.

إلا أن الآية الشريفة لم تشأ التصريح بكون

الأبناء أنفع من الآباء؛ كي لا تَجرح مشاعر الآباء، فاقتصرت على القول بأنّكم لا تعلمون أيّهم أنفع لكم، مكتفية بالإشارة- على سبيل الكناية- بهذه اللغة المهذبة إلى أنّ الله تعالى حكم بتفضيل الأبناء على الآباء في الميراث رعايةً للحكمة، وأنّ ذلك ليس تحكماً محضاً وتعسفاً منه- جلّ عن ذلك-.

(٤) تحريم شرب الخمر رغم كونه حكماً شاقاً على المجتمع؛ بسبب الإدمان عليه، وورد تعليل ذلك في قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا**﴾تنبيهاً- بأسلوب لطيفٍ ولـيّن- على أنّ الخمر- وإن كان يوجب إلهاء الإنسان عن بعض الهموم-، ولكنّ الإثم والشر المترتب عليه- جراء عدم الشعور بالمسؤولية وفقدان الوعي- أضرُّ بالإنسان.

(٥) تشريع القصاص، حيث لم تبرّر على أساس نزعة الثأر والانتقام العبثي المحض- كما قد يظن ذلك؛ لعدم انتفاع المقتول ولا أوليائه بقتل القاتل-، بل على أساس أنّ هذا الحكم- بعد أن لم يكن في حدّ نفسه ظلماً للقاتل؛ لكونه مقابلة بالمثل- موافق للصالح العام؛ لأنّه سبيل للردع الجزائي، فإن مَن يعلم أنّ قتله للآخرين سوف ينتهي إلى قتله سوف يتريّث كثيراً قبل الإقدام على مثل هذا العمل، قال تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ .

(٦) عدم جعل غنائم الفيء- التي لم يوجف عليها الجند بخيل ولا ركاب- للمقاتلين، وعدم الاستجابة لطَمَعهم في ذلك، وقد عُلّل ذلك بما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ .

ومفاد هذه الآية عدم استحقاق المقاتلين للفيء لأمرين:

(أحدهما): إن دورهم في تحصيل الفيء ليس بذلك الدور المؤكد حيث لم يوجفوا عليه بخيل ولا ركاب.

و(الآخـر): إن جعل الفيء ضمن استحقاق المقاتلين يؤدي إلى المفسدة وتضرّر الصالح العام؛ إذ تصير تلك الأموال دولة بين الأغنياء خاصة، ويُحرَم منها الفقراء والصالح العام ..

وهكذا نجد أن في النصوص الدينية بياناً إجمالياً لوجه الحكمة في الحكم الشرعي- فيما إذا كان في موارد المساحات المتشابهة-، من غير وحشة من السؤال الهادف، فجرى الإقناع على أصول معقولة في مناع وخطوط عريضة صائبة، وذلك بسلوك منحى الحكمة والفضيلة، وتعليل ما كان موضع تساؤل أو تثاقل بتعليل فطري عقلائي.

(الأمر السابع): إن الرؤية التشريعية الدينية- في ضوء ما تقدّم تعتمد كالرؤية التكوينية على دعامتين: التعقّل والتعبّد.. فالتعقّل في موارد الإدراك العقلي الواضح، وليس بوجوه غير ناضجة ومتسرعة من الاجتهاد بالرأي، أو وجوه الاستحسان والاستبعاد، وأما التعبد والتسليم ففي ما وراء ذلك من القضايا التي تقع في المساحة المتشابهة والرمادية عند العقل الإنساني.

ومَن أحلّ ما يظنه تعقّلا في مواضع التعبد أو ما يظنه تعبداً في مواضع التعقل- كما فعله الخوارج- فقد أحدث خللا تربويّاً في الدين وابتعد عن التفقه الصائب فيه.

(الأمر الثامن) إن مثال التربية الدينيّة التي تكون غاية مُثلى لكلّ متديّن وأسوة لكلّ مؤمن بالله- وفق ما يستفاد من نصوص القرآن الكريم في وصف المؤمنين وصفات المتّقين- يستجمع أمرين:

(أحدهما): هو الاتّصاف بالفضائل الفطرية جميعاً، وعلى رأسها شكر الله عز وجل وأداء حقه، والعدل والإحسان والصدق وأداء الأمانة والإيثار ونحو ها.

و(الآخر): هو الاتصاف بالعقلانية المتمثلة بالرشد البالغ والبصيرة الثاقبة.

إن الاتصاف بالعقلانية جزء رئيس في الشخصية التي يطمح الدين لتربيتها- على خلاف ما يتراءى لبعض الناس ابتداءً من عدم علاقة الدين بالتعقّل-، فالمتقي مستيقظ نبيه عاقل معتبر متذكّر ملتفت متفقّه متفطن، يتدبّر عواقب الأمور [1]، مليء بالحكمة والعقلانية والعزيمة والفضيلة والحزم في مواطنه..

هذه هي الأمور الثمانية التي تمثل أصول التشريع الديني الإسلامي ومبانيها. وأما ما عداها ممّا جاء في النصوص التشريعية فهي كلها تطبيقات وتفاصيل في ضمن هذه الرؤية، قد يتدخل في بعضها عامل الزمان والمكان والبيئة الاجتماعية، فلا ينبغي رفع التفاصيل والتطبيقات إلى مصاف الأصول العامة للتشريع وتوجيهاته العريضة.

(١) لذلك يتبادل مكان المؤمن والعاقل في جملة من النصوص فيقال: (المؤمن لسانه وراء قلبه)، وفي بعض الأحاديث الأخرى (العاقل لسانه وراء قلبه)؛ باعتبار أن صفات المؤمن والعاقل متطابقة.

علم الفقه، علم الأصول، علم الرجال، علم الحديث

## دعاوى العرفان وتصفية الباطن

آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني

## الشهادة في الطلاق

السيد المرتضى

## أصالة الصحّة في فعل الغير

الشيخ جعفر السبحاني

## مركز الدراسة الفقهية عند الشيعة

الشيخ علي كاشف الغطاء

## اجتماع الجرح والتعديل

الشيخ عبد الهادي الفضلي

# دعاوى العرفان و تصفية الباطن

آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله

وجه سؤال للمرجع الديني الاعلى السيد علي السيستاني دام ظله حول العرفان والمقامات المعنوية فكانت اجابته دام ظله:

لا شك في انه ينبغي لكل مؤمن العناية بتزكية النفس وتهذيبها عن الخصال الرذيلة والصفات الذميمة وتحليتها بمكارم الاخلاق ومحامد الصفات استعداداً لطاعة الله تعالى وحذراً من معصيته، الا ان السبيل الى ذلك ما ورد في الكتاب العزيز والسنة الشريفة من استذكار الموت وفناء الدنيا وعقبات الآخرة من البرزخ والنشور والحشر والحساب والعرض على الله تعالى، وتذكر اوصاف الجنة ونعيمها واهوال النار وجحيمها وآثار الاعمال ونتائجها، فإن ذلك مما يعين على تقوى الله سبحانه وتعالى وطاعته والتوقي عن الوقوع في معصيته وسخطه كما اوصى به الانبياء والاوصياء عليهم السلام وعمل به العلماء الربانيون جيلاً بعد جيل، وهذا طريق واضح لا لبس فيه، ولا عذر لمن تخلف عنه، وانما يعرف حال المرء بمقدار تطابق سلوكه مع هذا

النهج وعدمه، فإن الرجال يُعرَفون بالحق ومن عرف الحق بالرجال وقع في الفتنة وضل عن سواء السبيل.

وقد حذر امير المؤمنين عليه السلام من بعض اهل الجهل ممن يبتدع بهواه اموراً ويزعم انه من العلماء فيجمع حوله فريقاً من الجهال قائلاً: «**انما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال رجالاً على غير دين الله، فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين، ولو ان الحق خلص من لبس الباطل لانقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان، فهنالك يستولي الشيطان على اوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى**».

ومن علائم اهل الدعاوي الباطلة مبالغتهم في تزكية انفسهم على خلاف ما امر الله تعالى به وتوجيه الآخرين الى الغلو فيهم والاستغناء عن المناهج المعروفة لدى الفقهاء في استنباط الاحكام الشرعية ودعوى الوقوف عليها وعلى ملاكاتها من طريق الامور الباطنية والتصدي للفتيا من غير استحصال الاهلية لها واستغلال المبتدئين في التعليم والتعلم، والموالاة الخاصة لمن اذعن بهم والمعاداة مع من لم يجر على طريقتهم والوقيعة فيمن انسلخ منهم بعد الايمان بهم وسلوك سبل غير متعارفة للامتياز عن غيرهم من اهل العلم وعامة الناس والمبالغة في الاعتماد على المنامات وما يدّعون ترائية لهم في الحالات المعنوية والتميز في اللبس والزيّ والمظهر عن الآخرين، تمسكاً في بعضه بأنه عمل مأثور من غير ملاحظة الجوانب الثانوية التي يقدّرها الفقهاء في مثل ذلك.

ومن تلك العلائم الابتداع في الدين والتوصية بالرياضات التي لم تعهد من الانبياء والاوصياء عليهم السلام والاستناد فيما يدّعي استحبابه الى ما ورد في مصادر غير موثوقة تذرعاً بالتسامح في ادلة السنن، وايضاً التأثر بأهل الملل والاديان الاخرى والتساهل في ما يعدّ ضرباً من الموسيقي والالحان الغنائية المحرمة ووجوه اختلاط الرجال بالنساء، والاعتماد على مصادر مالية غير معروفة وارتباطات غامضة مريبة الى غير ذلك مما لا يخفى على المؤمن الفطن.

واننا نوصي عامة المؤمنين وفقهم الله تعالى لمراضيه بالتثبت وعدم الاسترسال في الاعتماد على مثل هذه الدعاوي، فان هذا الامر دين يدان الله تعالى به، فمن اتبع امام هدى حشر خلفه وكان سبيله الى الجنة ومن اتبع ضلالاً حُشِرَ معه يوم القيامة وساقه الى النار وليتأمل الجميع في هذا حال من كانوا قبلهم كيف وقع الكثير منهم في الضلال لاتّباع امثال من ذُكر، نسأل الله تعالى ان يجنّب الجميع البدع والاهواء ويوفقنا للعمل بشرعه الحنيف مقتدين بسيرة العلماء الربانيين انه ولي التوفيق.

# أصالة الصحّة في فعل الغير

الشيخ جعفر السبحاني

أصالة الصحّة في فعل الغير من الأُصول المجمع عليها ولها معنيان:

١- حسن الظن بالمؤمن والاعتقاد الجميل في حقّه حتّى لا ينسبه إلى اعتقاد فاسد أو صدور عمل محرّم منه أو فاسد، وهذه من الوظائف الإسلامية التي يدعو إليها القرآن والسنّة، قال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾[١].

وأمّا السنّة فروى إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ قال: «**إذا اتّهم المؤمن أخاه، إنماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء**»[٢].

وأصالة الصحّة بهذا المعنى أصل أخلاقي لا كلام فيه ولا يترتّب عليه أثر فقهيّ.

٢. فرض الفعل الصادر من الغير صحيحاً مطابقاً للواقع، مثلاً إذا قام المسلم بغَسْل الميت وتكفينه والصلاة عليه، ودفنه، أو قام بغسل الأواني واللحوم المتنجّسة، يُحمَل فعله على الصحّة بهذا المعنى، وبالتالي يسقط التكليف عن الغير ولا يحتاج إلى إحراز الصحّة بالعلم والبيّنة.

ومثله إذا أذّن أحد المؤمنين أو أقام وشُكّ في صحّة عمله، يحمل على الصحّة، ويسقط التكليف عن الغير، أو ناب المسلم عن رجل في الحجّ أو العمرة أو في جزء من أعمالهما، وشُكّ في صحّة العمل المأتي به، يحمل على الصحّة، إلى غير

(١) [الحجرات: ١٢].

(٢) الوسائل: ٨، الباب ١٦١ الحديث ١.

ذلك من أعمال الوكلاء في الزواج والطلاق والبيع والشراء والإجارة، أو فعل الأولياء كالأب والجدّ في تزويج من يتوليانه أو الاتّجار بماله.

والدليل على أصالة الصحّة بهذا المعنى هو وجود الإجماع العملي بين الفقهاء وسيرة المسلمين النابعين من سيرة العقلاء على حمل فعل الغير على الصحّة، وهذا ممّا لا شكّ فيه.

والذي دعا إلى اتخاذهم هذا الأصل سنداً في الحياة هو ملاحظة طبع العمل الصادر عن إنسان عاقل، وهو يعمل لغاية الانتفاع بعمله آجلاً أو عاجلاً، ومقتضى ذلك هو إيجاد العمل صحيحاً لا فاسداً، كاملاً لا ناقصاً، وإلاّ يلزم نقض الغرض وفعل العبث.

ثمّ إنّ أصالة الصحّة متقدّمة على الاستصحاب لأحد وجهين:

الأوّل: انّها أمارة على الصحّة، لأنّ الغالب على فعل الإنسان العاقل المريد هو الصحّة لا الفساد، وانّ الفاسد أقلّ بكثير من الصحيح، فتكون أمارة ظنّية أمضاها الشارع.

الثاني: أنّها أصل لكنّها متقدّمة على الاستصحاب للزوم اللغوية إذا قُدِّم الاستصحاب عليها، إذ ما من مورد من مواردها إلّا وفيه أصل يدل على الفساد في المعاملات، وعلى الاشتغال في العبادات، لأنّ الشكّ في الصحّة ناشئ غالباً من احتمال تخلّف شرط أو جزء، والأصل عدم اقتران العمل بهما.

نعم، تُقدَّم أصالة الصحّة على استصحاب الفساد إلّا في موارد كان الفساد فيها هو الطبع الأوّلي للعمل مثلاً:

إذا كان طبع العمل مقتضياً للفساد، بحيث تكون الصحّة من عوارضه الشاذة وأطواره النادرة، كبيع الوقف مع احتمال المسوّغ له، ومال اليتيم ـ إذا لم يكن البائع وليّاً ـ وبيع العين المرهونة مدّعياً إذن المرتهن.

هذا في المعاملات ونظيره في العبادات، كإقامة الصلاة في المكان المغصوب، وفي الثوب النجس، مع احتمال المسوّغ لها فلا تجري أصالة الصحة فيهما.

[الوسيط في أُصول الفقه]

# الشهادة في الطلاق

السيد علي الحسيني

مما انفردت الإمامية به القول: بأن شهادة عدلين شرط في وقوع الطلاق ومتى فقد لم يقع الطلاق، وخالف باقي الفقهاء في ذلك.

والحجة لنا بعد إجماع الطائفة قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ**﴾ إلى قوله: ﴿**فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ**﴾ فأمر تعالى بالإشهاد، وظاهر الأمر في عرف الشرع يقتضي الوجوب فليس لهم أن يحملوا ذلك ها هنا على الاستحباب، فلا يخلو قوله تعالى:﴿**وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ**﴾ من أن يكون راجعا إلى الطلاق، كأنه قال: إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأشهدوا، أو أن يكون راجعا إلى الفرقة أو إلى الرجعة التي عبر تعالى عنها بالإمساك.

ولا يجوز أن يرجع ذلك إلى الفرقة لأنها ليست هاهنا شيئا يوقع ويفعل وإنما هو العدول عن الرجعة، وإنما يكون مفارقا لها بأن لا يراجعها فتبين بالطلاق السابق على أن أحدا لا يوجب في هذه الفرقة الشهادة وظاهر الأمر يقتضي الوجوب، ولا يجوز أن يرجع الأمر بالشهادة إلى الرجعة، لأن أحدا لا يوجب فيها الإشهاد وإنما هو مستحب فيها فثبت أن الأمر بالإشهاد راجع إلى الطلاق.

فإن قيل: كيف يرجع إلى الطلاق مع بعد ما بينهما؟

قلنا: إذا لم يلق إلا بالطلاق وجب عوده إليه مع بعد وقرب.

فإن قيل: أي فرق بينكم في حملكم هذا الشرط على الطلاق وهو بعيد منه في اللفظ وذلك مجاز وعدول عن الحقيقة، وبيننا إذا حملنا الأمر بالإشهاد هاهنا على الاستحباب ليعود إلى الرجعة القريبة منه في ترتيب الكلام؟

قلنا: حمل ما ظاهره الوجوب على الاستحباب خروج عن عرف الشرع بلا دليل، ورد الشرط إلى ما بعد عنه إذ لم يلق بما قرب ليس بعدول عن حقيقة ولا استعمال توسع وتجوز، والقرآن والخطاب كله مملوء من ذلك. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ**﴾والتسبيح وهو متأخر في اللفظ لا يليق إلا بالله تعالى دون رسوله ﷺ.

[الانتصار]

# مركز الدراسة الفقهية عند الشيعة

الشيخ علي كاشف الغطاء

ان الدراسة الفقهية عند الشيعة الاثني عشرية قد كان مركزها هو البلد الذي يسكنه الإمام من الأئمة الاثني عشر ثمّ بعد غيبة الإمام الثاني عشر الكبرى سنة ٣٢٩هـ في سامراء كانت تدور مدار سكنى الزعيم الشيعي لأنه هو المَرجِع لهم ولذا لو تعدد الزعيم الديني لهم في بلاد مختلفة تعدد مركز الدراسة بحسبها. وانتقلت من سامراء وصار لها مركزان:

أحدهما قم حيث كانت مربضاً لقادة الفكر الديني الشيعي، فقد كان فيها الصدوق مؤلف (من لا يحضره الفقيه) وغيره وكان من أبرز المراجع للشيعة.

وثانيهما بغداد حيث كان فيها مرجع للشيعة وهو ابن جنيد والاسكافي ثمّ انحصر مركزها في بغداد حيث كان مربضاً لقادة الفكر الديني الشيعي ومهبطاً لطلاب العلم الفقهي ومنهلًا عذباً لمعرفة الحكم الشرعي لانحصار المرجعية العامة والزعامة الدينية الكبرى بالشيخ محمد العكبري المفيد المتوفى سنة ٤١٣هـ وهو يسكن بغداد ثمّ من بعد وفاته انتقلت الزعامة الدينية لتلميذه علم الهدى السيد المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦هـ ثمّ من بعده انتقلت الزعامة الدينية لتلميذه الشيخ محمد الطوسي﵀، ولم يزل﵀ في بغداد مرجعاً للطائفة في الفتوى ومأوى لهم ولغيرهم في البحث والتدريس حتى ثارت الفتن من دعاة الفرقة وانشقت عصا الجماعة من المستهزئين بالدين والفضيلة فتعدّوا على كرامة العلم والعلماء باحراقهم الكتب العلمية وهدمهم الجوامع الإسلامية وهتكهم المقدسات الدينية على عهد العتل الارعن الاهوج (طغرل بيك السلجوقي) الذي شق عرى الوحدة بين المسلمين وفصم عقد الاخوة بين أهل الدين حتى احترقت دار الشيخ الطوسي﵀

ومكتبته وكرسيه الذي يجلس عليه للتدريس سنة ٤٤٨. فانتقل للنجف الأشرف خوفا على نفسه ومتعلقيه حيث كانت النجف المكان الأمين والبقعة المقدسة وفي المبيت بها الثواب الكثير وليس فيها إلا الشيعة، وبانتقاله إليها انتقل مركز الدراسة إليها وأصبحت جامعة علمية مهمة يقصدها طلاب العلوم الدينية من كل حدب وصوب لوجود مَرجِع التقليد الأعلى فيها، ثمّ في القرن السابع بعد سقوط بغداد بأيدي المغول التتر سنة ٦٥٥هـ انتقل مركز الدراسة من النجف إلى الحلة لأنها كانت في مأمن من نكبة المغول للعراق واقرب مركز لبغداد وتتوفر فيها متطلبات السكنى والحياة فانتقل لها علماء بغداد وأوجب ذلك قوة النشاط العلمي مما دعا ان تكون هي المركز العلمي للدراسة الفقهية، وكان ذلك في عصر الشيخ نجم الدين المعروف بالمحقق الحلي المتوفى سنة ٦٧٦هـ صاحب شرائع الإسلام وكان مجلسه العلمي يحوي اكثر من أربعمائة مجتهد، ثمّ انتقل مركزها من الحلة للنجف مرة ثانية في القرن العاشر نتيجة لوقوع الاضطرابات في الحلة بسبب الحروب التي وقعت فيها بين المشعشعين والتركمان وكان ذلك في عهد المقدس الأردبيلي المتوفى سنة ٩٩٣هـ عندما أقام في النجف.

وفي سنة ١١٥٦هـ عقد في النجف بواسطة نادر شاه الاتفاق بين الشيعة والسنة بإلغاء الطائفية والتمسك بالوحدة الإسلامية ووقع على هذا الاتفاق علماء السنة والشيعة. ثمّ انتقل مركزها لكربلاء في القرن الثاني عشر عندما جاء إليها المحقق محمد باقر بن محمد الوحيد البهبهاني المتوفى سنة ١٢٠٨هـ والظاهر ان السبب في ذلك هو كثرة وجود الأخباريين في كربلاء مما أوجب ان يذهب علماء الأصوليين بزعيمهم الأعلى المحقق البهبهاني المذكور لرفع المذهب الاخباري عنها، ثمّ عاد مركز الدراسة للنجف مرة ثالثة بانتقال السيد بحر العلوم المتوفى سنة ١٢١٢هـ والشيخ الكبير كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٢٨هـ والشيخ حسين نجف وغيرهم من جهابذة الفن وفطاحل العلم. لوقوع الاضطرابات في كربلاء وحدوث الحوادث المخيفة منها كغارة الوهابيين عليها، واشتدت الحال بها أيام داود باشا سنة ١٢٣٤هـ فاصبح الطالب لا يملك الأمان لنفسه وحيث إن النجف لا مطمع لأهل الصولجان والسلطان فيها لأنها وادٍ غير ذي زرع فكانت بمعزل عن العالم تصلح لأهل التقوى والإيمان مع ما فيها من مجاورة سيد الأوصياء التي ينال بها الثواب الجزيل والأجر العظيم وما في الدفن فيها من النجاة من العذاب الاليم.

ويقال ان ذلك كان بإصرار من الشيخ جعفر كاشف الغطاء ولذا كان هو المتصدي لتمصير النجف وبناء سورها والمحافظة على شؤونها فأوجب هذا وذاك انتقال مركز الدراسة إلى النجف الأشرف مرة ثالثة ثمّ انتقال مركزها أيام السيد حسن الشيرازي صاحب تحريم التتن المتوفى سنة ١٣١٢هـ لسامراء لتوفر وسائل الحياة فيها، وحيث كان هو المرجع

الأعلى للشيعة والدراسة الدينية تدور حيث ما سكن قائدها ومدير دفتيها الذي هو المرجع الأعلى للشيعة وبعد وفاته انتقل مركزها لكربلاء أيام ميرزا محمد تقي الشيرازي صاحب الثورة المتوفى سنة ١٣٣٨هـ وبعد وفاته انتقل مركزها للنجف الأشرف مرة رابعة ولا تزال باقية حتى الآن في النجف الأشرف، نسأله تعالى بجاه من لذنا بجواره ان تبقى فيها ما بقي الدهر. لكن لا يخفى على القارئ ان انتقال الدراسة من النجف في هذه المرات بعد الشيخ الطوسي ليس معناه زوالها عن اصلها وإنما هو انتقال مركزها ومحورها عنها بواسطة ان مركزية الدراسة تابعة للزعامة الدينية عند الشيعة، فلما انتقلت الزعامة في هذه الفترات انتقلت المركزية للدراسة معها، وإلا فالدراسة بقيت في النجف مستمرة إلا أنها أصابها الضمور والتقلص في تلك الحالات فإنا لا نعني بوجود مركز الدراسة الدينية الشيعية في بلد معناه هو انعدامها في باقي بلدانهم، المهمة إذ لا يمكننا ان نتجاهل عظمة الدراسة الدينية في قم وخراسان وطهران واصفهان وغيرها من بلدان إيران من قديم الدهر حتى اليوم.

ولا يمكننا ان ننكر وجود الدراسة في كربلاء والكاظمية وغيرها من بلدان العراق منذ أمد بعيد حتى الآن ولا يمكننا أن نغض النظر عن الدراسة المذكورة في باقي المناطق الشيعية في المماليك الإسلامية كسوريا ولبنان والبحرين وافغانستان والسعودية وغيرها إلا أن الذي نعنيه كون البلد هي المركز هو ارتباط الدراسة الدينية الشيعية بذلك البلد باعتبار ما فيه من توفر أسباب التحصيل وسعة الدراسة وكثرة الفقهاء فيهاجر إليه لتحصيل المعارف الفقهية أو تكميلها أو تقويتها ولنيل شهادة الاجتهاد من الزعيم الديني الأعلى الذي حل فيه.

[باب مدينة الفقه]

# اجتماع الجرح والتعديل

الشيخ عبد الهادي الفضلي

لو اجتمع في تعريف راوٍ واحد قول يزكيه وآخر يطعن فيه.

وقد بحثها مؤلفو علم الحديث كعموميات تنطبق على الحوادث اليومية.

وهذا يصح لمن يريد أن يؤسس قواعد لدراسات وأبحاث مستقبلية يقيم على هديها من يلتقيه من الرواة الأحياء.

ونستفيد منه إذا أردنا معرفة قيمة راو معاصر لنا.

أما ونحن نتعامل مع رواة مروا في التاريخ، وليس أمامنا من تقييم لشخصياتهم، إلا ما ذكر في كتب الرجال، وهو لا يعدو أن يكون من نوع الأخبار المنقولة، والمستفادة مؤدياتها من قرائن اطلع عليها، أو دراسات قام بها معنيون بهذا الشأن عاشوا قبل زمن المؤلفين الرجاليين، ولم يصل إلى الرجاليين منهم إلا نتائجها.

فالحل – على هذا – هو أن نوضح كيفية التعامل مع القيم المذكورة في كتب الرجال.

ويتم هذا: بأن يقوم التعامل على أساس من معرفتنا لمنهج المؤلف، وطريقته العلمية في تقييم الرواة.

فمثلا: لو قارنا بين فهرسي النجاشي والطوسي بقراءة كل منهما قراءة ناقدة، لرأينا النجاشي أكثر تدقيقا وتحقيقا.

وعلى أساس منه نقول: لو تعارض تقييم النجاشي وتقييم الطوسي يقدم تقييم النجاشي.

وهكذا لو تعارض تقييم الرجاليين البغداديين (الكشي والنجاشي والطوسي) وتقييم الرجاليين الحليين (ابن طاووس والعلامة وابن داود) يقدم تقييم البغداديين، لأنهم أقاموا تقييماتهم على ما أفادوه من الرجاليين السابقين لجيلهم، وهو أقرب عهدا وألصق معرفة بسيرة وواقع الرواة.

وأخيرا: المسألة – في واقعها – اجتهادية – تعتمد على منهج الباحث وطريقته، والقواعد الأساسية التي توصله إلى هذا.

[أصول الحديث]

بطلة كربلاء زينب بنت علي عليها السلام
السيد هاشم معروف الحسني

عثرة التأريخ
السيد عبد الرزاق المقرم

حركة التاريخ في مظهر التّفاعل الاجتماعي
الشيخ محمّد مهدي شمس الدين

الكميت.. ونضاله المرير
الشيخ باقر شريف القريشي

# بطلة كربلاء
# زينب بنت علي عليها السلام

السيد هاشم معروف الحسني

لقد تحدث الناس عن البطولات والأبطال من النساء والرجال المعروفين بالجرأة والشجاعة ومقارعة الفرسان في المعارك التي كانت المرأة تقف فيها إلى جانب الرجل وتؤدي دورها الكامل بنفس الروح والعزيمة التي كان الأبطال يخوضون المعارك فيها، وبلا شك فإن اهل البيت عليهم السلام يأتون في الطليعة بين أبطال التاريخ، وان زينب ابنة علي وفاطمة تأتي في الطليعة بعد ابيها واخوتها كما يشهد لها تاريخها الحافل بكل انواع الطهر والفضيلة والجرأة والصبر في الشدائد.

وليس بغريب على تلك الذات العملاقة التي التقت فيها الأنوار الثلاثة: نور محمد وعلي وفاطمة ومن تلك الأنوار تكونت شخصيتها ان تجسد بمواقفها خصائص النبوة والامامة وأمها الزهراء التي امتازت بفضلها على نساء العالمين.

ان اللسان ليعجز وان اللغة على سعة مفرداتها لتضيق عن وصفها وعن التعبير عما ينطوي عليه الإنسان من الشعور نحو المرأة الكبيرة والقدوة العظيمة ابنة علي والزهراء التي عز نظيرها بين نساء العرب والمسلمين بعد أمها البتول سيدة النساء التي ابتسمت للموت حين بشرها به الرسول الامين في الساعات الاخيرة من حياته وقال لها: «**انت اول اهل بيتي لحوقا بي**».

ومهما كان الحال فلعلنا بعد هذا الفصل نتوقف لإعطاء فكرة كافية عن ذلك الغرس الطيب وكيف نما وتكامل نموه حتى بلغ أشده ونهض بأعباء المسؤولية العظمى وأدى دوره الكامل عندما وقعت تلك المأساة الكبرى التي حلت بالعلويين والطالبيين رجالاً ونساء على تراب كربلاء، وكيف استطاعت ان تتحمل تلك الصدمة وتقوم بدورها الكامل بالحكمة والصبر الجميل ذلك الدور الذي يمثل اسمى درجات البطولة وأغناها بالقيم والمثل العليا..

لقد ثبتت في ذلك الموقف كالطود الشامخ تاركة على تراب كربلاء آثار مسيرتها ومواقفها بين تلك الضحايا التي لا تزال حديث الاجيال ومثلا كريما لكل ثائر على الظالم والجور وللمرأة التي تعترضها الخطوب والشدائد خلال مسيرتها في هذه الحياة.

لقد كان عويل النساء وصراخ الصبية وضجيج المنطقة كلها بالبكاء والنياحة كفيلا بأن يهد اقوى الاعصاب ويخرس أفصح الالسن والخطباء ويقعد بأكبر الرجال ولو لم يكن يتصل بتلك الضحايا بنسب او سبب، فكيف بمن رأى ما حل بأهله وبنيه واخوته وأبناء اخوته وعمومته وأحس بثقل المسؤولية وجسامتها، ولكن ابنة علي ذلك الطود الاشم الذي كان أثبت من الجبال الرواسي في الشدائد كانت تجسد مواقف ابيها في كل موقف تتزلزل فيه أقدام الابطال، وبقيت ليلة العاشر من المحرم ساهرة العين تجول بين خيام اخوتها وأصحابهم وتنتقل من خيمة الى خيمة وهم يستعدون لمقابلة ثلاثين الف مقاتل قد اجتمعوا لقتال اخيها وبنيه وأنصاره ورأت اخاها العباس جالساً بين اخوته وأحفاد ابي طالب وهو يقول لهم: اذا كان الصباح علينا ان نتقدم للمعركة قبل ان يتقدم اليها الانصار لأن الحمل الثقيل لا ينهض به إلا اهله.

وفي طريقها الى خيام الانصار سمعت حبيب ابن مظاهر يوصيهم بأن يتقدموا إلى المعركة حتى لا يروا هاشمياً مضرجاً بدمه، وسمعت الانصار يقولون: ستجدنا كما تريد وتحسب يابن مظاهر، فانطلقت نحو خيمة اخيها الحسين عليه السلام وهي تبتسم وقد غمرها السرور وطفا منه على وجهها اثر رد عليه لمحة من بهائه وصفائه ومضت تريد اخاها الحسين لتخبره بما رأت وسمعت من اخوتها والأنصار، وما هي إلا خطوات حتى رأته مقبلاً فابتسمت له وتلقاها مرحباً وقال لها: **منذ ان خرجنا من المدينة ما رأيتك مبتسمة ولا ضاحكة فما الذي رأيت**، فقصت عليه ما سمعته من الهاشميين وأنصارهم وظلت العقيلة ليلتها تلك ساهرة العين تنتقل من خيمة الى خيمة ومن خباء الى خباء بين النساء والأطفال واخواتها حتى إذا اقبلت ضحوة النهار وسقط اكثر انصار اخيها ومن معه من بنيه واخوته وابناء عمه على ثرى الطف، ورجع الحسين للوداع الاخير وزينب على جانبه كالمذهولة قال لها: «**مهلا اخية لا تشقي عليّ جيباً ولا تخمشي عليّ وجهاً ولا تشمتي بنا الاعداء**»، وأوصاها بالنساء والاطفال، فقالت له: «**طب نفسا وقر عينا فانك ستجدني كما تحب ان شاء الله**».

ولما سقط عن جواده صريعا اسرعت على مصرعه وصاحت تستغيث بجدها وأبيها وأوشكت الصرخة ان تنطلق من حشاها اللاهب عندما رأت رأسه مفصولا عن بدنه والسيوف والسهام قد عبثت بجسمه وقلبه ورأت اخوتها وبنيها وأبناء عمومتها من حوله كالأضاحي ومعها قافلة من النساء والاطفال وأمامها صفوف الاعداء تملأ صحراء كربلاء فرفعت يديها في تلك اللحظات الحاسمة نحو السماء لتند عن فمها عبقة من فيض النبوة والخلود تناجي ربها وتتضرع اليه قائلة: «اللهم تقبل

منا هذا القربان».

وهكذا كان على العقيلة ان تنفذ وصية اخيها وتثبت في وجه تلك الاهوال وأن تحمل قلبا كقلب ابيها في غمار جولاته وتقف كالطود الشامخ في وجه اولئك الذين وقفوا إلى جانب يزيد بن ميسون وجلاديه الممعنين في انتهاك الحرمات والمقدسات والذين باعوا ضمائرهم لاولئك الطغاة الجناة بأبخس الاثمان.

ويقطع الحادي الطريق من كربلاء إلى الكوفة والسبايا على اقتاب الجمال تتقدمهم رؤوس سبعين من الانصار وعشرين من أحفاد ابي طالب بينهم رأس الحسين سيد شباب اهل الجنة، وما ان أطل موكب السبايا والرؤوس ودنت طلائعه من مداخل الكوفة حتى ازدحم الناس في الطرقات ومن على المشارف والنساء على سطوح المنازل ولم يكن نبأ مصرع الحسين قد انتشر في جميع اوساط الكوفيين،وأشرفت امرأة من على سطح بيتها فرأت نساء كالعاريات لولا أسمال من الثياب تقنعن بها فظنت المرأة انهن من سبايا الروم او الديلم وأرادت ان تستوثق لنفسها من الظن فطالما كانت ترى مواكب من سبايا الروم والترك تمر بالكوفة لم تر مثل ما رأت على هذا الموكب من الحزن واللوعة، ولم تر قبل اليوم اسرى مع تلك المواكب من الصبيان يشدون بالحبال على اقتاب الجمال كما رأت في هذا الموكب فأدنت المرأة رأسها من احدى السبايا وقالت لها: من أي الاسارى انتن؟ فردت عليها والالم يقطع أحشاءها: نحن اسارى آل بيت محمد رسول الله.

وما كادت المرأة تسمع قولها حتى خرجت مولولة معولة وكادت ان تسقط من على سطحها من هول الصدمة والتفتت إلى النساء اللواتي على سطوحهن وقالت: انهن نساء اهل البيت، فتعالى الصياح عند ذلك من كل جانب حتى ارتجت الكوفة بأهلها ولفت نواحيها صرخات متتالية كأنها العواصف في أرجائها والتف النسوة بالموكب يقذفن عليه الارز والمقانع لتتستر بها بنات علي وفاطمة عن أعين الناس وغصت الطرقات بالنساء والرجال يبكون ويندبون فالتفتت ابنة علي وفاطمة اليهم ببصرها النافذ وقالت:

يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟! فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزالها من بعد قوة أنكاثاً، تتخذرون أيمانكم دخلاً بينكم. ألا وهل فيكم إلا الصلف والنطف،والصدر والشنف، وملق الإماء، وغمز الأعداء؟! أو كمرعى على دمنة، أو كفضة على ملحودة، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون. أتبكون وتنتحبون؟! إي والله فأبكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة.

ويسير الموكب متخطياً تلك الحشود من الرجال والنساء إلى قصر الامارة ليضمها مجلس ابن مرجانة فتجلس متنكرة مطرقة يحف بها موكب النسوة في

ذلك المجلس الذميم وهو ينظر اليها ببسمة الشامت المنتصر ويسأل من هذه المتنكرة فلا ترد عليه احتقاراً وازدراء لشأنه، وأعاد السؤال ثانيا وثالثاً فأجابته بعض امائها: هذه زينب ابنة علي، فانطلق عند ذلك بكلمات تنم عن لؤمه وحقده وخسته قائلا: الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أحدوثتكم، فردت عليه غير هيابة لسلطانه ولا لجبروته قائلة: «الحمد لله الذي اكرمنا بنبيه وطهرنا من الرجس انما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا ثكلتك امك يا بن مرجانة».

فقال لها وقد استبد به الحقد والغضب: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ قالت: «ما رأيت إلا جميلاً، اولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم وتختصمون عنده وستعلم لمن الفلج ثكلتك امك يا بن مرجانة».

ويأبى له حقده وصلفه الا ان يتناول قضيباً كان الى جانبه ليضربها به، ولكن عمرو بن حريث احد جلاوزته نظر الى الوجوه قد تغيرت على ابن مرجانة وايقن ان عملاً من هذا النوع سيلهب المشاعر لا سيما وان النفوس قد اصبحت مشحونة بالحقد والكراهية ومهيأة للإنفجار بين الحين والآخر لما حل بالحسين وبنيه وأصحابه فحال بين ابن مرجانة وما اراد فرمى القضيب من يده وعاد يخاطبها بلغة الشامت الحاقد ويقول لها: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعتاة المردة من اهل بيتك، فبكت عند ذلك وقالت: «لعمري لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي واجتثثت اصلي فان يكن في ذلك شفاؤك فقد اشتفيت».

ثم يأتيه البريد بكتاب يزيد يأمره ان يحمل السبايا والرؤوس والاطفال الى قصر الخضراء في دمشق عاصمة الجلادين، ويسير الحداة بموكب السبايا الى حيث ابن ميسون في اعتساف وارهاق في الليل والنهار ليقطع موكب الرؤوس والسبايا مسافة ثلاثين يوما في عشرة ايام، ويضم العقيلة مجلس يزيد ورأس الحسين بن علي والزهراء بين يديه ينكث ثناياه بمخصرته ويتمثل بقول القائل:

**ليت اشياخي ببدر شهدوا**
**جزع الخزرج من وقع الاسل**
**لأهلوا واستهلوا فرحاً**
**ثم قالوا يا يزيد لا تشل**
**لعبت هاشم بالملك فلا**
**خبر جاء ولا وحي نزل**
**لست من خندق ان لم أنتقم**
**من بني احمد ما كان فعل**

وكان على زينب وقد رأته بتلك الحالة فرحا مسروراً يتمثل بهذه الابيات التي تعبر عن حقده وتعصبه لجاهلية جده وأبيه ووثنيتهما ويعبث بثنايا ابي عبدالله الحسين بمخصرته ان تتكلم بين تلك الحشود المجتمعة في مجلسه لتحرق دنيا سروره وفرحه بكلماتها التي كانت أشد وقعا عليه من الصواعق ولتضع الكثيرين ممن كانوا يجهلون مكانة الاسرى ولا يعرفون عنهم شيئا في جو تلك

الاحداث وافتتحت كلامها بعد حمد الله بقولها: «أظننت يا يزيد حيث اخذت علينا أقطار الارض وآفاق السماء وأصبحنا نساق كما تساق الاسارى ان بنا على الله هوانا وبك عليه كرامة؟!»، ومضت في حديثها وأبصار تلك الحشود المحيطة بيزيد شاخصة اليها تذكرهم بمنطق ابيها ومواقفه بين المعسكرين في صفين حينما كان يخاطب معاوية وحزبه ويناشدهم الرجوع عن غيهم وضلالهم الى حظيرة الاسلام وعدالته السمحاء.

ومضت تقول: «أمن العدل يابن الطلقاء تخديرك اماءك وحرائرك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدو اليهن الاعداء من بلد الى بلد ويستشرفهن اهل المناهل والمعاقل ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدني والشريف وتتمنى حضور آبائك قائلا:

**ليت اشياخي ببدر شهدوا**

**جزع الخزرج من وقع الاسل**

**لأهلوا واستهلوا فرحا**

**ثم قالوا يا يزيد لا تشل**

منحنيا على ثنايا ابي عبد الله سيد شباب اهل الجنة تنكثها بمخصرتك.. وستردن وشيكا موردهم وتودن انك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت»، ومضت في خطابها توجه اليه اسوأ انواع التحقير والتقريع حتى سيطرت على المجلس بمنطقها وأسلوبها الرائع، وراح الناس يتهامسون ويتلاومون وبكى بعضهم لهول المصاب وجسامته، واستطردت العقيلة تقول: «ولئن جرت على الدواهي مخاطبتك اني لأستصغر قدرك توبيخك، ألا فالعجب العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء».

لقد دخلت زينب ابنة على وفاطمة الى عاصمة الجلادين برسالتها رافعة صوتها الى كل من لهم عهد مع اهل هذا البيت وكل من آمنوا برسالة محمد في عصر وجيل وأرض ووراءها قافلة من الاسرى وصفوف العداء من امامها تملأ الافق وتسد طريقها وكانت مسؤوليتها التاريخية الكبرى هي اكمال الرسالة واتمام المسيرة ولسانا لمن قطعت ألسنتهم سيوف الجلادين ودخلت مدينة الجريمة عاصمة القهر والبطش والتنكيل بالابرياء وهناك رفعت صوتها المدوي في أعماق التاريخ لتقول لابن ميسون مستخفة به بكل ما في الاستخفاف والاحتقار من معنى.

[من وحي الثورة الحسينية]

# حركة التاريخ في مظهر التّفاعل الاجتماعي الثّوري

الشيخ محمّد مهدي شمس الدين

البشر يتحرّكون دائماً في الزّمان والمكان، يبدعون، ويتواصلون بالتّجارة والصداقة تارةً، وبالعداوة والحرب تارةً، وبالفكر دائماً.

ويتعاملون مع الطّبيعة دائماً، يكيّفونها ويتكيّفون معها، ويحبّونها ويهربون منها في بعض الأحيان.

وهم يواجهون الإخفاق وخيبات الأمل في حالات، ويسعدون بنشوة النصر في حالات أخرى، ويشلّهم اليأس عن الحركة في بعض الحالات، ولكن سرعان ما يؤجّج الأمل في التّقدم والمستقبل الأفضل في قلوبهم جذوة الرغبة في التغيير، فيعودون إلى الحركة من جديد.

وهكذا يصنع البشر تاريخهم باستمرار، ينسجونه خيطاً فخيطاً، ويبنونه ذرّةً فذرّةً من ملايين الآمال الصّغيرة، والمخاوف الصّغيرة، والأحقاد الصّغيرة، والشّهوات الصّغيرة، الّتي تنكر لهم كلّها وتتراكم فتتكوّن منها عجينة التاريخ.

ولكنّها لنْ تكون تاريخاً ما لم تأخذ قواماً معيّناً وما لم تتشكّل بهيئة معيّنة... ما لم تتضمّن فكرة تغيير، وروح تغيير، وعزيمة تغيير، تجعل من آحاد الآمال والمخاوف والأحقاد والشّهوات التي تبلغ الملايين

شيئاً واحـداً كبيراً تنبض فيه روح واحـدة تلفّ بوهجها كلّ المجتمع والجماعة، وتدفع بهم – لا في طريق الحركات الأحاديّة المبعثرة – في طريق حركة متدفّقة هادِرة، تحدوها رؤية واحدة أو رؤى متقاربة تلتقي على التّغيير، حينئذٍ تنشط حركة التّاريخ الّتي كانت هادئة أو أمينة، وتتعاظم، وتلد الأحداث الكبيرة، وتدخل المجتمع والجماعة في منعطف من التاريخ جديد.

قد يتمّ هذا التّفاعل في حال السّلم والاستقرار الاجتماعي، فتكون الفترة الزّمنيّة الّتي يستغرقها التّغيير – بعد فترة الإعداد والاختمار – طويلة نسبيّاً؛ لأنّ التّغيير التّاريخي يتمّ في هذه الحالة وفقاً لمعادلات السّلم والاستقرار الّتي تجعل الإنسان أكثر أناة في حركته، وأكثر قدرة على الاختيار.

وقد يتمّ هذا التّفاعل في حال الغليان الاجتماعي والقلق العام.

في هذا الحال تنشأ ظاهرتان:

الأولى: ظاهرة رفض وتمرّد في الجماهير، يغذّيها ويؤجّجها اليأس من العدالة الرّسميّة، وينعشها الأمل في مستقبل أفضل لهذه الجماهير يتوصّل إليه دعاة التّغيير.

الثّانية: تقابل الأولى وتتولّد منها، وهي إجراءات القمْع التي تلجأ إليها السّلطة الرسميّة؛ من أجل أنْ تضمن سيادة وثبات نظامها وقِيَمها.

إنّ هذا القمْع: يعزّز روح اليأس والغضب، ويدفع إلى مزيد من التّمرّد والرّفض، ويرصّ – بدرجة أعلى من الصّلابة والتّماسك – ملايين الآمال والمخاوف والأحقاد والشّهوات، ويؤجج روح الغضب، ويدفع الجماهير – أكثر فأكثر – نحو العنف باتّجاه التغيير.

في هذه الحالة تقصر نسبيّاً، الفترة الحاسمة الّتي يستغرقها التّغيير بعد فترة الإعداد والاختمار، إنّ الأحداث تتسارع، ويتعاظم حجمها، وتتّسع مساحة الفئات الاجتماعيّة الّتي تشارك فيها، وتتصاعد إلى أنْ تبلغ الذّروة الّتي ينهار عندها العهد التّاريخي الّذي كان سائداً، ويدخل المجتمع في منعطف من تاريخه جديد.

إذن البشر لا يتوقّفون عن صنع التأريخ، لكنّهم قد يصنعون تاريخهم في حال السّلم، وقد يصنعونه في حال الغليان والتّوتّر الاجتماعي، كما قد يصنعونه بالحرب.

وقد لاحظ الإمام علي عليه السلام حركة التّاريخ في مظهرها الثّاني؛ لأنّ الظّروف السّائدة في مجتمعه كانت تدفع بهذا المجتمع نحو هذا المسار الدّامي في مواجهة مستقبله المُكْفَهِر، الحافل بالأنواء.

لقد تسببت أخطاء الحكم في عهد الخليفة (عثمان ابن عفان) في خيبة آمال فئات واسعة من المسلمين وغضبها، كما تسبّبت – إلى جانب ذلك – في انبعاث كثير من القِيَم والأخلاق والمطامح الجاهليّة الّتي نَشطت للعمل من خلال ممثّليها ورموزها في قمّة

السّلطة في مجالات السّياسة والاقتصاد والاجتماع.

وقد أدّى انبعاث هذه القِيَم الجاهليّة إلى تعارض في المصالح بين ممثّلي هذه القِيَم و أكثريّة المسلمين الّذين كانت تتغذى نفوسهم بالآمال الّتي تولّدها قِيَم الإسلام في العدالة الخالصة والمساواة... هذا التعارض المأساوي الّذي ما فتئت تُغَذّيه أخطاء الحكم وسياسات الرّموز الجاهليّة العائدة، فتعمّقه، وتزيده حدّة، وتدفع به إلى مزيد من الأتّساع والانتشار.

وقد تراكم كلّ ذلك على مدى سنين، واتّسع إلى أنْ شمل حواضر الدّولة كلّها، وأدّى في النّهاية إلى عاقبته الوخيمة وثمرته المرّة: ثورة شارك فيها الأغنياء والفقراء، السّاخطون بلا حقد والحاقدون من عِلْيَة القوم، وأدّت الثورة إلى مقتل الخليفة (عثمان)، وإلى دخول المسلمين في منعطف من تاريخهم جديد، طلبوا من علي بن أبي طالب أنْ يقودهم فيه، ولكنّه رفض طلبهم؛ لأنّه أدرك – وهو الراعي للتاريخ وفاعليه وآليّة حركته – أنّ حجم الحاجات الّتي يفتقر إليها النّاس والآمال الّتي تعمر قلوبهم أكبر بكثير من حجم الإمكانات الّتي توفّرها مؤسّسات الدّولة، وأنّ حجم المعوّقات الّتي يمثّلها رموز العهد الماضي وقواه الّتي شلّتْها الثورة فاضطرّت إلى الانكماش... حجم هذه المعوّقات كبير وخطير؛ لأنّها مُسْتَشْرِيَة في جميع مراكز السّلطة، وقد قال لهم مُعْلِنَاً رفضه: «دعُوني والتمِسُوا غيري، فإنَّا مُستقبِلُون أمراً لهُ وجوه وألوان، لا تقُوم لهُ القُلُوبُ، ولا تثبُتُ عليهِ العُقُولُ[1]، وإنّ الآفاق قد أغامت [2]، والمحجَّة قد تنكَّرت [3]، واعلموا أني إنْ أجبتُكُم ركِبتُ بِكُم ما أعلمُ، ولم أُصغِ إلى قولِ القائلِ وعتبِ العاتبِ، وإنْ تركتُمُوني فأنا كأحدِكُم، ولعلِّي أسمعُكُم وأطوعُكُم لِمَنْ ولَّيتُمُوهُ أمركُم، وأنا لكُم وزيراً، خير لكُم منّي أمير» [4].

وقد ذكّر الإمام – فيما بعد – بموقفه هذا في مناسبات كثيرة منها قوله في كلام له عند خروج طلحة والزّبير عليه: «فأقبلتُم إليَّ إقبال العُوذ المطافيلِ على أولادِها [5]، تقُولُون: البيعة البيعة!! قبضتُ كفِّي فبسطتُمُوها، ونازعتُكُم يدي فجاذبتُمُوها» [6].

[حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام]

(١) لا تقوم له القلوب: لا تجرأ عليه، لا تثبت عليه العقول: لا تكاد تفهمه وتحققه، يومئ بذلك إلى المشكلات الإجتماعية والأزمات الّتي عصفت بالمجتمع كلّه.

(٢) أغامت: حجبها الغيم، كناية عن صعوبة إيجاد الحلول المقبولة من الجميع.

(٣) المحجّة: الطّريقة الواضحة – وتنكّرت: التبس أمرها على النّاس.

(٤) نهج البلاغة: رقم النّص: ٩٢.

(٥) العوذ المطافيل: الإبل والضّباء ذات الأولاد، وهي جمع عائذة، ومطفل: كناية عن اللّهفة الّتي توجّهوا بها إليه، طالبين منه قبول بيعتهم، كما اللّهفة الّتي تقبل بها أمّ الطّفل على ولدها.

(٦) نهج البلاغة: رقم النّص: ١٣٧.

# عثرة التأريخ

السيد عبد الرزاق المقرم

لقد كان من نفوذ بصيرة العبّاس عليه السلام أنّه لم تقنعه هاتيك التضحية المشهودة منه، والجهاد البالغ حدّه، حتّى راقه أن يفوز بتجهيز المجاهدين في ذلك المأزق الحرج، والدعوة إلى السعادة الخالدة في رضوان الله الأكبر، وأن يحظى بأُجور الصابرين، على ما يَلمّ به من المصاب بفقد الأحبة، فدعا أُخوته من أُمه وأبيه وهم (عبد الله، وجعفر، وعثمان) وقال لهم: «تقدّموا حتّى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله، فإنّه لا ولد لكم»[1].

فإنّه أراد بذلك تعريف إِخوته حقّ المقام، وأنّ مثولهم بهذا الموقف لم يكن مصروفاً إلّا إلى جهة واحدة وهي: المفادات والتضحية في سبيل الدين، إذ لم يكن لهم أي شائبة أو شاغلة تلهيهم عن القصد الأسنى من عوارض الدنيا، من مراقبة أمر الأولاد بعدهم، ومَن يرأف بهم ويربيهم، فاللازم حينئذ السير إلى الغاية الوحيدة وهي: الموت دون حياة الشريعة المقدّسة، فكانوا كما شاء ظنّه الحسن بهم، حيث لم يألوا جهداً في الذب عن قدس الدين، حتّى قضوا كراماً متلفّعين بدم الشهادة.

لكن هلمّ واقرأ العجيب الغريب فيما ذكر ابن جرير الطبري في التاريخ ج٦ ص٢٥٧ قال: «وزعموا أنّ العبّاس بن علي قال لإخوته من أُمّه وأبيه عبد الله وجعفر وعثمان: يا بني أُمي تقدّموا حتّى أرثكم، فإنّه لا ولد لكم، ففعلوا وقتلوا»[2].

وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبيين: قدّم أخاه جعفر بين يديه، لأنّه لم يكن له ولد ليحوز ميراثه العبّاس، فشدّ عليه هاني بن ثبيت فقتله[3].

وفي مقتل العبّاس قال: قدّم إخوته لأُمه وأبيه، فقتلوا جميعاً، فحاز مواريثهم، ثُمّ تقدّم وقتل فورثهم

(١) الارشاد للشيخ المفيد ٢: ٢٠٩، مثير الأحزان لابن نما: ٥٠، لواعج الأشجان: ١٧٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٢، الكامل في التاريخ ٤: ٧٦.

(٣) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٥٤.

وإياه عبيد الله، ونازعه في ذلك عمّه عمر بن علي، فصولح على شيء رضي به[1].

هذا غاية ما عندهما، وقد تفرّدا به من بين المؤرّخين وأرباب المقاتل، ولا يخفى على من له بصيرة وتأمّل بعده عن الصواب.

وما أدري كيف خفي عليهما حيازة العبّاس ميراث إخوته مع وجود أُمهم أُم البنين، وهي من الطبقة المتقدّمة على الأخ، ولم يجهل العبّاس شريعة تربّى في خلالها؟!

على أنّ هذه الكلمة لا تصدر من أدنى الناس، سيّما في ذلك الموقف الذي يذهل الواقف عن نفسه وماله، فأيّ شخص كان يدور في خُلدِهِ ذلك اليوم حيازة المواريث بتعريض ذويه وإخوته للقتل؟! وعلى الأخصّ يصدر ذلك من رجل يعلم أنّه لا يبقى بعدهم ولا يتهنّأ بمالهم، بل يكون فعله لمحض أن تتمتّع به أولاده..بئست الكلمة القبيحة التي راموا أن يلوثّوا بها ساحة ذلك السيّد الكريم.

فهل ترغب أنت أن يقال لك: عرضت إخوتك وبني أُمك لحومة الوغى لتحوز مواريثهم؟! أو أنّ هذا من الدناءة والخسّة، فلا ترضاه لنفسك، كما لا يرغب به سوقة الناس وأدناهم، فكيف ترضى أيّها المنصف ذلك لمن علّم الناس الشهامة وكرم الأخلاق، وواسى حجّة وقته بنفسه الزاكية؟!

وكيف ينسب هذا لخرّيج تلك الجامعة العُظمى، والمدرسة الكبرى، جامعة النبَّوة، ومدرسة الإمامة، وتربّى بحجر أبيه، وأخذ المعارف منه ومن أخويه الامامين؟!

ولو تأمّلنا جيداً في تقديمه إياهم للقتل لعرفنا كبر نفسه، وغاية مفاداته عن أخيه السبط، فلذة كبد النّبي صلى الله عليه وآله، ومهجة البتول، فإنّ من الواضح البيّن أنّ غرضه من تقديمهم للقتل:

١ ـ إمّا لأجل أن يشتدّ حزنه، ويعظم صبره، ويرزأ بهم، ويكون هو المطالب بهم يوم القيامة، إذ لا ولد لهم يطالبون بهم.

٢ ـ أو لأجل حصول الاطمئنان والثقة من المفادات دون الدين، أمام سيّد الشهداء، ويشهد له ما ذكره الشيخ المفيد في الإرشاد، وابن نما في مثير الأحزان من قوله لهم: «**تقدّموا حتّى أراكم قد نصحتم للّه ولرسوله، فإنّه لا ولد لكم**»، ولم يقصد بهم المخايل، وإنّما رام أبو الفضل أن يتعرّف مقدار ولائهم لقتيل العبرة. وهذا منه عليه السلام إرفاق بهم، وحنان عليهم، وأداء لحقّ الإخوة بإرشادهم إلى ما هو الأصلح لهم.

٣ ـ أو لأجل أن يكون غرضه الفوز بأجر الشهادة بنفسه، والتجهيز للجهاد بتقديم إخوته ليثاب أيضاً بأجر الصابرين، ويحوز كلتا السعادتين، وربما يدلّ عليه ماذكره أبو الفرج في مقتل عبدالله من قول العبّاس له: « تقدّم بين يدي حتّى أراك قتيلاً واحتسبك، فكان أول من قُتِلَ من إخوته ».

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٥٥.

وذكر أبو حنيفة الدينوري أنّ العبّاس قال لإخوته: «تقدموا بنفسي أنتم وحاموا عن سيّدكم حتّى تموتوا دونه، فتقدّموا جميعاً وقتلوا».

ولو أراد أبو الفضل من تقديمهم للقتل حيازة مواريثهم ـ وحاشاه ـ لم يكن لاحتساب أخيه عبدالله معنى، كما لا معنى لتفديتهم بنفسه الكريمة كما في الأخبار الطوال[1].

وهناك مانع آخر من ميراث العبّاس لهم وحده، حتّى لو قلنا على بعد ومنع بوفاة أُم البنين يوم الطف، فإنّ ولد العبّاس لم يكن هو الحائز لمواريثهم، لوجود الأطراف وعبيد الله بن النهشلية، فإنهما يشتركان مع العبّاس في الميراث، كما يشاركهم سيّد شباب أهل الجنّة، وزينب العقيلة، وأم كلثوم، ورقية، وغيرهنّ من بنات أمير المؤمنين، فكيف والحال هذا يختصّ العبّاس بالميراث وحده؟!

هذا كُلّه إن قلنا بوفاة أُم البنّين يوم الطف، ولكن التاريخ يثبت حياتها يومئذ وأنّها بقيت بالمدينة، وهي التي كانت ترثي أولادها الأربعة.

والذي أظنّه أن منشأ ذلك التقوّل على العبّاس أنّه أوقفهم السير على قوله لإخوته: «لا ولد لكم»، من غير رويّة وتفكير في غرضه ومراده، فحسبوه أنّه يريد الميراث، فنَوّه به واحد باجتهاده أو احتماله، وحسبه الآخرون رواية، فشوّهوا به وجه التاريخ، ولم يفهموا المراد، ولا أصابوا شاكلة الغرض، فإنّ غرضه من قوله: «لا ولد لكم» تراقبون حاله بعدكم، فأسرعوا في نيل الشهادة والفوز بنعيم الجنان.

على أنّ شيخنا العلاّمة الشيخ عبد الحسين الحلّي في النقد النزيه ج١ ص٩٩ احتمل تصحيف (إرثكم) من (أُرزأ بكم) أو (أرزأكم)، وليس هذا ببعيد.

وأقرب منه احتمال شيخنا الحجّة الشيخ آغا بزرك مؤلّف كتاب (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) تصحيف (إرثكم) من (أرثيكم)، فكأنّه عليه السلام أراد أولاً: أن يفوز بالإرشاد إلى ناحية الحقّ، وثانياً: تجهيز المجاهدين، وثالثاً: البكاء عليهم ورثائهم، فإنّه محبوب للمولى تعالى.

ويشبه قول العبّاس لإخوته قول عابس بن أبي شبيب الشاكري لشوذب مولى شاكر: يا شوذب ما في نفسك أنّ تصنع؟ قال: أُقاتل معك دون ابن بنت رسول الله حتّى أقتل! فقال: ذلك الظنّ بك، فتقدّم بين يدي أبي عبدالله حتّى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه، وحتّى احتسبك أنا، فإنّه لو كان معي الساعة أحد أنا أولى به منك لسرّني أن يتقدّم بين يدي حتّى أحتسبه، فإنّ هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكُلِّ ما قدرنا عليه، فإنّه لا عمل بعد اليوم، وإنّما هو الحساب (الطبري ج٦ ص٢٥٤).

[العباس عليه السلام]

(١) الأخبار الطوال: ٢٥٧.

# الكميت.. ونضاله المرير

الشيخ باقر شريف القرشي

الكميت بن زيد بن خنيس (أبو المستهل) الأسدي، شاعر الاولين والآخرين ـ على حد تعبير الفرزدق ـ [1] ولولا شعره لم يكن للغة ترجمان، ولا للبيان لسان ـ حسبما يقول عكرمة الضبي [2].

وهو في طليعة رجال الفكر والأدب في عصره، وقد ساهم مساهمة ايجابية في تطور الثقافة العربية وازدهار الحركة العلمية في الاسلام، ونعرض لبعض البنود المشرقة من جوانب حياته.

ولادته ونشأته:

وُلِدَ الكميت سنة (٦٠ هـ) [فنشأ في السنوات] التي فجعت بها الأمة الاسلامية بقتل سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام [3] وقد انطبعت في نفسه صورة تلك المأساة المروعة وأخذت تتفاعل مع مشاعره وعواطفه، وظهر أثر ذلك في شعره الحزين الذي يرثي به الامام الحسين عليه السلام.

أما نشأته فقد نشأ بالكوفة التي هي عاصمة الشيعة، وينبوع التشيع، ومنجم الثورات على بني أمية، وتربى على حب أهل البيت عليهم السلام فكان حبهم من عناصره، ومقوماته.

ويقول المؤرخون: كان الكميت لا يذيع شعره بين الناس حتى يرضى به، ويطمئن إليه، فلذا كان لوحة فنية تحكي الابداع والفن والفكر، أما هاشمياته، فقد كبرت عن التحديد والتقييم، وقد ضمنها الاستدلال

(١) الاغاني ١٥ / ١١٥.

(٢) روضات الجنات ٦ / ٥٩.

(٣) الغدير ٢ / ٢١١.

على مذهبه الذي لا يقبل الجدل والتشكيك، وكانت هاشمياته احدى الوسائل الثقافية في تلك العصور لما فيها من الخصب وغزارة الفكر والادب، وكانت تروى في الاندية، والمجالس ويحفظها الناس.

صلابته فى عقيدته:

كان الكميت صلب العقيدة، راسخ الايمان، قد أقام عقيدته على الواقع العلمي الذي لا يقبل الجدل والنقاش، فهو شاعر العقيدة الشيعية، والمعبر عن آرائها، ومبادئها ويجمع الرواة على أنه اول من فتق باب الاحتجاج للشيعة في هاشمياته، وانه كان لسانهم، والمدافع عنهم، والمحتج لهم، وقد صورت هاشمياته الجانب الفكري، والعقائدي للشيعة، واحاطت ـ بوضوح ـ بشؤون الامامة التي تعتبر من العناصر الاساسية في مبادئهم.

مع الامام الباقر عليه السلام:

واختص الكميت بالامام أبي جعفر عليه السلام فكان شاعره الخاص، وقد تلا عليه بعض هاشمياته وقصائده التي نظمها في حق أهل البيت عليهم السلام فأخذت موقعها من نفس الامام عليه السلام فشكره ودعا له بالمغفرة والرضوان.

وكان الكميت لا يرى أحدا في هذه الدنيا يستحق الولاء والتقدير غير سيده الامام أبي جعفر عليه السلام فقد دخل عليه وهو يقول:

**ذهب الذين يعاش في اكنافهم**
**لم يبق إلا شامت أو حاسد**
**وبقي على ظهر البسيطة واحد**
**فهو المراد وأنت ذاك الواحد**[1]

تعطشه لرؤيا الامام:

كان الكميت مقيما في الكوفة، فاشتد به الوجد الى رؤيا الامام فسافر الى يثرب، ولما مثل عند الامام تلا عليه قصيدته التي يذكر فيها تعطشه لرؤياه، يقول فيها:

**كم جزت فيك من احواز وايقاع**
**وأوقع الشوق بي قاعا الى قاع**
**يا خير من حملت أنثيومن وضعت**
**به إليك غدى سيري وايضاعي**
**أما بلغتك فالآمال بالغة**
**بنا الى غاية يسعى لها الساعي**
**من معشر شيعة الله ثم لكم**
**صور إليكم بابصار واسماعي**
**دعاة أمر ونهي عن أئمتهم**
**يوصي بها منهم واع الى واعي**
**لا يسأمون دعاء الخير ربهم**
**أن يدركوا فيلبوا دعوة الداعي**[2]

وصورت هذه الابيات عظيم ولائه للامام، وما عاناه من جهد الطريق، وعناء السفر في سبيل رؤيته والالتقاء به.

رثاؤه للحسين:

وكان الكميت قد ولد في السنة التي استشهد بها أبو الأحرار الامام الحسين عليه السلام ولما ترعرع، وفهم الحياة رأى الناس قد ذهلتهم أهوال تلك المأساة الخالدة في دنيا الأحزان، وهم يرددون في انديتهم ومجالسهم ما عاناه ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله من فوادح

(١) روضات الجنات ٦ / ٥٦.

(٢) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام (ص ١٨٩).

المحن والخطوب، وقد هزت مشاعره وعواطفه، وملأت نفسه الما عاصفا، وقد رثاه بذوب روحه في كثير من شعره، ويقول الرواة انه نظم قصيدة في رثاء الحسين ووفد على الامام أبي جعفر ليتلوها عليه فلما مثل عنده قال له:

يا ابن رسول الله قد قلت فيكم أبياتا من الشعر: أفتأذن لي في انشادها؟

انها ايام البيض التي يكره فيها انشاد الشعر.

هي فيكم خاصة.

«هات ما عندك».

فانبرى يقول:

**اضحكني الدهر وابكاني**
**والدهر ذو صرف والوان**

**لتسعة بالطف قد غودروا**
**صاروا جميعا رهن اكفان**

وتألم الامام كأشد ما يكون التألم حينما سمع رثاء جده الامام الحسين، واغرق في البكاء وبكى معه ولده الامام الصادق عليه السلام كما بكت العلويات من وراء الخباء، ولما بلغ الى قوله:

**وستة لا يتجارى بهم**
**بنو عقيل خير فرسان**

**ثم علي الخير مولاهم**
**ذكرهم هيج أحزاني**

بكى الامام أبو جعفر عليه السلام أمرّ البكاء، وذكر له ما اعد الله من الثواب الجزيل لمن يذكر أهل البيت، ويحزن لحزنهم، ولما بلغ قوله:

**من كان مسرورا بما مسكم**
**أو شامتا يوما من الآن**

**فقد ذللتم بعد عز فما**
**ادفع ضيما حين يغشاني**

أخذ الامام عليه السلام بيد الكميت وأخذ يدعو له قائلا:«اللهم اغفر للكميت ما تقدم من ذنبه وما تأخر.. »

ولما بلغ قوله:

**متى يقوم الحق فيكم متى**
**يقوم مهديكم الثاني**

التفت إليه الامام، وعرفه بأن الامام المهدي عليه السلام هو الامام المنتظر الذي يملأ الارض عدلا وقسطا بعد ما ملئت ظلما وجورا، وسأله الكميت عن زمان خروجه فقال عليه السلام: «لقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك، فقال: انما مثله كمثل الساعة لا تأتيكم الا بغتة».

نضاله المرير:

وناضل الكميت نضالا مريرا في الدفاع عن عقيدته، والذب عن مبادئه، وقد انطلق كالمارد الجبار في احلك الظروف، وأشدها قسوة ومحنة على أهل البيت عليهم السلام فأخذ يذيع مآثرهم، ويشيد بفضائلهم، ويدعو الناس الى الالتفاف حولهم، ويدفعهم الى التمرد على الحكم الاموي، والتخلص من جوره وطغيانه.

لقد قام الكميت بدور ايجابي وفعال في زعزعة الكيان الأموي، واسقاط هيبته، وكان من ابرز ما قام به في هذا المجال ما يلي:

١ ـ مدحه لأهل البيت:

ومدح الكميت أهل البيت عليهم السلام مدحا عاطرا، وعدد مناقبهم ومآثرهم في هاشمياته التي هي من أثمن اللوحات الفنية في الأدب العربي، وقد ادت دورا خطيرا في بلورة الوعي العربي والاسلامي، وأوجدت شعورا عاما يتسم بالكراهية والبغض لبني أمية.

لقد مدح الكميت أهل البيت عليهم السلام في وقت كانت الحكومة الأموية قد منعت منعا رسميا الاشادة بهم، وفرضت سبهم على المنابر والمآذن، وأوعزت الى معاهد التعليم القيام بتغذية النشء ببغضهم، كما عهدت الى لجان الوضاعين بافتعال الحديث للحط من شأنهم، وفرضت أشد العقوبات واكثرها صرامة على من يذكرهم بخير، فقيام الكميت بمدحهم يعتبر من ابرز الوان النضال الديني لأنه قد قاوم رغبات السلطة، وناهض سياستها.

٢ ـ هجاء الأمويين:

وقام الكميت بدور خطير في مناهضة الأمويين، فقد هجا ملوكهم، وعدد مثالبهم وابرزهم في شعره كأقذر مخلوق، وقد حفظ الناس ما قاله فيهم، فزهدوا في بني أمية، ونقموا على حكمهم وسلطانهم، ويعتبر هجاؤه لهم من الاسباب التي اطاحت بملكهم ومن قوله فيهم:

**فقل لبني أمية حيث حلوا**
**وإن خفت المهند والقطيعا**

**اجاع الله من اشبعتموه**
**واشبع من بجوركم اجيعا**

وقد قرأ هذه الابيات على الامام أبي جعفر عليه السلام فدعا له بالمغفرة والرضوان [1] وهجا هشام بن عبد الملك بقوله:

**يصيب على الأعواد يوم ركوبها**
**لما قال فيها مخطئ حين ينزل**

**كلام النبيين الهداة كلامنا**
**وافعال أهل الجاهلية نفعل**

ولم يقتصر الكميت في هجائه على الأمويين، وإنما هجا انصارهم واعوانهم فقد هجا الحكيم بن عياش الكلبي، وقد اعتز الكميت في هجائه ببني أمية، وكان ذلك موضع دهشة واستغراب.

وقد خف إليه ولده المستهل فانكر عليه اعتزازه ببني أمية قائلا: «يا ابة انك هجوت الكلبي، وغمزت عليه، ففخرت ببني أمية، وأنت تشهد عليهم بالكفر، فهلا فخرت بعلي وبني هاشم الذين تتولاهم؟!!»

فأجابه الكميت جواب العالم الخبير قائلا:

«يا بني أنت تعلم انقطاع الكلبي الى بني أمية، وهم اعداء علي، فلو ذكرت عليا لترك ذكري، واقبل على هجائه فاكون قد عرضت عليا له، ولا أجد له ناصرا من بني أمية، ففخرت عليه ببني أمية وقلت: ان نقضها عليّ قتلوه، وإن امسك قتلته غما وغلبته..»

وكان كما قال الكميت: فقد امسك الكلبي من جوابه إلا انه ترك الحزن والأسى يحزان في نفسه [2].

[حياة الإمام الباقر عليه السلام]

(١) معجم الشعراء (ص ٣٤٨).
(٢) الاغاني ١٥ / ١٢٩.

## الانسان ونموه في مجتمعه

السيد محمد حسين الطباطبائي

## أداب أسرية في الشريعة الإسلامية

السيد محسن الامين

## الإكرام والرفق بالزوجة

الشيخ عباس امين العاملي

## لا إفراط ولا تفريط

الشيخ محمد تقي فلسفي

## ترك التفكير بمستقبل الأولاد

الشيخ ياسين عيسى

# الانسان ونموه في مجتمعه

السيد محمد حسين الطباطبائي

المجتمع الانساني كسائر الخواص الروحية الانسانية، وما يرتبط بها لم يوجد حين وُجِدَ تاماً كاملا لا يقبل النماء والزيادة، بل هو كسائر الأمور الروحية الإدراكية الإنسانية لم يزل يتكامل بتكامل الانسان في كمالاته المادية والمعنوية، وعلى الحقيقة لم يكن من المتوقع أن تستثنى هذه الخاصية من بين جميع الخواص الانسانية فتظهر أول ظهورها تامة كاملة أتم ما يكون وأكمله بل هي كسائر الخواص الانسانية التي لها ارتباط بقوتي العلم والإدارة تدريجية الكمال في الانسان.

والذي يظهر من التأمل في حال هذا النوع أن أول ما ظهر من المجتمع فيه الاجتماع المنزلي بالازدواج لكون عامله الطبيعي، وهو جهاز التناسل أقوى عوامل الاجتماع لعدم تحققه إلا بأزيد من فرد

واحد أصلا بخلاف مثل التغذي وغيره، ثم ظهرت منه الخاصية التي سميناها في مباحث كتابنا (الميزان) بالاستخدام وهو توسيط الانسان غيره في سبيل رفع حوائجه ببسط سلطته وتحميل إرادته عليه ثم برز ذلك في صورة الرئاسة كرئيس المنزل ورئيس العشيرة، ورئيس القبيلة، ورئيس الأمة، وبالطبع كان المقدم المتعين من بين العدة أولاً أقواهم وأشجعهم، ثم أشجعهم وأكثرهم مالاً وولـداً، وهكذا حتى ينتهي إلى أعلمهم بفنون الحكومة والسياسة، وهذا هو السبب الابتدائي لظهور الوثنية، وقيامها على ساقها حتى اليوم.

وخاصية الاجتماع بتمام أنواعها (المنزلي وغيره) وإن لم تفارق الانسانية في هذه الأدوار، ولو برهة إلا أنها كانت غير مشعور بها للإنسان تفصيلا بل كانت تعيش وتنمو بتبع الخواص الأخرى المعني بها للإنسان كالاستخدام والدفاع ونحو ذلك.

والقرآن الكريم يخبر أن أول ما نبه الانسان بالاجتماع تفصيلا واعتنى بحفظه استقلالا نبهته به النبوة، قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا**﴾.

وقال أيضا: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾، حيث ينبئ أن الانسان في أقدم عهوده كان أمة واحدة ساذجة لا اختلاف بينهم حتى ظهرت الاختلافات وبانت المشاجرات فبعث الله الأنبياء وأنزل معهم الكتاب ليرفع به الاختلاف، ويردهم إلى وحدة الاجتماع محفوظة بالقوانين المشرعة. وقال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾.

فأنبأ أن رفع الاختلاف من بين الناس وإيجاد الاتحـاد في كلمتهم إنما كان في صـورة الدعوة إلى إقامة الدين وعدم التفرق فيه، فالدين كان يضمن اجتماعهم الصالح.

والآية: - كما ترى - تحكي هذه الدعوة (ودعوة الاجتماع والاتحاد) عن نوح عليه السلام، وهو أقدم الأنبياء أولي الشريعة والكتاب ثم عن إبراهيم، ثم عن موسى، ثم عن عيسى عليهم السلام، وقد كان في شريعة نوح وإبراهيم النزر اليسير من الاحكام، وأوسع هؤلاء الأربعة شريعة موسى، وتتبعه شريعة عيسى على ما يخبر به القرآن وهو ظاهر الأناجيل وليس في شريعة موسى - على ما قيل - سوى ستمائة حكم تقريبا.

فلم تبدأ الدعوة إلى الاجتماع دعـوة مستقلة صريحة إلا من ناحية النبوة في قالب الدين كما يصرح به القرآن، والتاريخ بصدقه.

[قضايا المجتمع والاسرة]

# آداب أسرية في الشريعة الإسلامية

السيد محسن الامين

من عناية الشرع الإسلامي بالمرأة ومحافظته على حفظ نظام العائلة أن سن التحكيم عند وقوع الاختلاف بين الزوجين الذي قد يؤدي إلى الشقاق ﴿إِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا﴾[النساء: ٣٥]؛ كل ذلك يدل على العناية بأمر الزوجة والمحافظة على حقوقها عناية ومحافظة لا مزيد عليها. وأباح الشرع الإسلامي الطلاق مع عدم التئام الأخلاق وعدم تمكن الحكمين من الاصلاح والتوفيق: فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[البقرة: ٢٣١] وكره الطلاق ونفر منه: قال صاحب الشرع: ما جعل الله مباحا أبغض إليه من الطلاق أو كمال قال.

وأقام العراقيل في سبيله فلم يجوزه في طهر المواقعة وأجل المستراية بالحمل ثلاثة أشهر وأوجب فيه حضور شاهدين عدلين وجعل المطلقة الرجعية في حكم الزوجة وأوجب اسكانها في منزله لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً فيرجع إليها، وأباح للمختلعة أن ترجع في البذل قبل انقضاء العدة فيرجع زوجها في الطلاق، وهذا الذي ذكرناه هو مذهب أئمة أهل البيت؛ ولا يتمسك من يعيب الطلاق إلا بالمكابرة وهل يسوغ في قانون العدل إلزام أحد الزوجين بالصبر على أخلاق الآخر التي يكون في الصبر عليها مشقة عظيمة، والحكماء تقول: أشد الأشياء صحبة من لا يمكنك فراقه ولا توافقك أخلاقه. أو إلزام الزوج بالصبر على الزوجة العاقر وحرمانه من النسل أو إلزامها بالصبر على الزوج الذي لا يولد له وحرمانها من رؤية الأولاد. ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤] وجعل الرجال قوامين على النساء يرجعن إلى رأيهم وتدبيرهم لما في

المرأة من الضعف ولأن الرجل هو الذي يدفع المهر ويقوم بنفقة الزوجة ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[النساء: ٣٤] ثم مدح المرأة بعد هذا بقوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾ [النساء: ٣٤].

ولم يجعل للرجل على المرأة سبيلا وأباح تأديبها عند نشوزها وخروجها عن الطاعة وإرادتها خرق النظام العائلي وإفساده حفظا لنظام العائلة وليعيشا بهناء وسرور لا بنزاع وشقاق ولكن جعل هذا التأديب باللطف واللين والابتداء بالأهون وعدم الانتقال إلى الأصعب الا مع عدم نجع الاهون فقال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾[النساء: ٣٤] فأمر أولاً بالوعظ بالكلام فإن لم ينجع فبالهجر في المضاجع بأن يوليها ظهره فإن لم ينجع فبالضرب بالثوب فإن لم ينجع فالأشد فإن كانت مطيعة غير خارقة لنظام العائلة فلا سبيل له عليها؛ وأبطل الاسلام الرهبانية واستعاض عنها بالاعتكاف في المساجد أي التخلي للعبادة وتجنب النساء مع الصيام أياما معدودة أقلها ثلاثة لما في الرهبانية من تقليل النسل وخوف الوقوع في الزنا ومن المشقة.

والاسلام شريعة سهلة سمحة وحث على الزواج لما فيه من كف النفس عن التطلع إلى ما لا يحل وتكثير النسل.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[النور: ٥٨] وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم. والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن. أمر الله تعالى العبيد والصبيان المميزين من الأحرار بالاستئذان عند إرادة الدخول في أوقات ثلاثة من الليل والنهار آخر الليل وعند القائلة وبعد صلاة العشاء الآخرة لأن الإنسان يتكشف ويتبذل في هذه الأوقات الثلاثة ويكون على حال لا يحب أن يُرى عليها، وأباح لهم الدخول في غير هذه الأوقات بدون إذن لأنهم خدم يطوفون عليكم لقضاء حوائجكم فلا بد لهم من الدخول عليكم في غير هذه الأوقات الثلاثة ويعسر عليهم الاستئذان في كل وقت. وأمر البالغين بالاستئذان في كل حال وأباح للمسنات من النساء وضع الجلباب الذي فوق الخمار بشرط عدم التبرج وخير لهن أن لا يضعنه مطلقا كالشابات.

[أعيان الشيعة]

# لا إفراط ولا تفريط

الشيخ محمد تقي فلسفي

كان في مدينة البصرة أخوان أحدهما يُدعى: العلاء بن زياد الحارثي، والآخر: عاصم. وكانا كلاهما مِن المُخلصين لعليٍّ عليه السلام، ولكنْ كانا مُختلفيَن في السُّلوك، فعلاء مُفرِط في حُبِّه للدنيا وجمعه للمال... أمَّا عاصم، فكان على العَكس منه مُدْبِراً ظهره للدنيا، صارفاً جُلَّ وقته في العبادة وتحصيل الكمالات الروحيَّة، وفي الواقع كانا كلاهما قد تجاوز الطريق المُستقيم، وانحرف عن الصراط السويِّ.

وذات يوم مَرِض العلاء، فذهب علي عليه السلام لعيادته، وما أنْ استقرَّ به الجلوس، حتَّى التفت الإمام إلى سِعة عَيشه، وإفراطه في سَعيه وراء الدنيا؛ فخاطبه قائلاً: «**وماذا تصنع ـ يا علاء ـ بهذه السِّعة المُفرِطة مِن العَيش؟ إنَّك إلى تحصيل وسائل سعادتك المعنويَّة أحوج، فاسع في ذلك الجانب أيضاً...**»، ثمَّ قال عليه السلام: «**اللَّهمَّ إلّا أنْ تكن عملتَ ذلك كلَّه؛ لتمهيد طريق السعادة المعنويَّة؛ لتتمكَّن مِن استقبال الضيوف في بيتك، وتستطيع صِلة أرحامك، وأداء حقوق إخوانك بأكمل وجه**»[1].

لقد أثَّر هذا الدرس البليغ، بأسلوبه الهادئ المَتين في علاء كثيراً، وجاشت به العواطف للشكوى مِن تفريط أخيه؛ فقال: يا أمير المؤمنين، أشكو إليك عاصم بن زياد.

قال: «وما له؟».

قال: لبس العَباء، وتخلَّى عن الدنيا.

قال: «عليَّ به!».

وبعد أنْ حضر عاصم بين يدي الإمام، وبَّخَه الإمام قائلاً: «**يا عُدَيَّ نفسه، لقد استهام بك الخبيثُ أما رحمتَ أهلك وولـدَك؟! أترى الله أحلَّ لك الطيِّبات وهو يكره أنْ تأخُذها؟! أنت أهون على الله مِن ذلك...**».

مِن خِلال هذه القِصَّة التاريخيَّة؛ يتَّضح لنا مدى استقامة المنهج الإسلامي، الذي نطق به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهو يُعبِّر عن تعاليم النبي صلى الله عليه وآله وحكم الله عَزَّ وجَلَّ.

لكن بقيت في نفس عاصم بن زياد مُشكلةٌ لم يجد لها حَلاً، وهي كيفيَّة التوفيق بين كلام الإمام عليه السلام وعمله؛ حيث قد زهد في الدنيا، وترك الملاذَّ.

فاندفع لسؤاله، وما أسرع أنْ قال: «... يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة مَلبسك وجُشوبة مأكلك؟!»، فقال الأمير: «**إنِّي لستُ كأنت... إنَّ الله فرض على أئمَّة الحَقِّ أنْ يُقدِّروا أنفسهم بضَعَفَة الناس؛ كي لا يتبيَّغ بالفقيرة فقره..**»[2].

(١) مُلاحظة: لمعرفة نصِّ الكلام راجع نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام جمعه الشريف الرضيِ.

(٢) الطفل، ج١.

# ترك التفكير بمستقبل الأولاد الدراسي والجامعي والمهني

الشيخ ياسين عيسى

إن عدم تفكير الأهل في مستقبل الأولاد من الأمور التي توقع الأولاد في متاهات الحياة وتنعكس سلبا على بعدهم التربوي وذلك عندما يفسرون ذلك بقساوة القلب أو الإهمال، وعندما تنقطع أواصر الثقة بين الموجِّه والموجَّه.

وعليه فإن من الأمور التي يهملها بعض الأهل العناية بدراسة أولادهم وتوعيتهم على أهمية الدراسة والعلم وأنه سلاح كل إنسان من ذكر وأنثى، وقد يؤدي هذا الإهمال الى فشل في شخصية الأبناء خصوصا إذا ما أضيف إليه عدم التوجيه الأخلاقي والديني، والجهل أكبر عدوٍّ للإنسان فرداً وجماعات ومن الإهمال توجه الأولاد الى مدارس غير إسلامية أو منحرفة أو الى أفكار خطيرة على صعيد العقيدة والدين.

وقد أثبتت التجارب أن المتعلم والمتخصص غالبا ما تكون لديه فرص العمل أكثر من غيره بحيث يكون ذلك مدعاة للاستقرار والراحة.

فعلى الأهل توعية أبنائهم الى نوعية الدراسة والاختصاص الذي لا بد أن يسلكوه، بالإضافة الى السعي الدؤوب لتأمين العمل المناسب.

هذا عند الأبناء الذين يسلكون المنهج التعليمي، اما من يرغب منهم في التوجه الى الزراعة أو التجارة أو الصناعة أو الحرفية، فعلى الوالدين توجيه أبنائهم الى ما فيه صلاح حالهم وما يتناسب مع طبائعهم وميولهم، مع ملاحظة حاجة المجتمع لذلك، وبالطبع هذا محكوم للواقع الخارجي.

ويمكن القول: إنه في الزمن الصعب كزماننا إن لم تتكاتف الأسر ويقف بعضهم الى جانب البعض الآخر متعاونين على السراء والضراء سوف يواجه الفرد الكثير من المتاعب والمعاناة وصعاب الحياة، مما يعكس القلق والانحراف وعدم التعاون التربوي، وأكثر تأخر الزواج راجع الى هذه الضغوطات الكبيرة والتي أورثتنا اياها الانظمة السياسية والاقتصادية الفاشلة لدى الحكومات. ولا يبقى الأمل إلا على النشاطات المؤسساتية والفردية.

وعليه ينبغي للأهل التفكير في حياة أبنائهم الزوجية أيضا وما يتعلق بها من تأمين السكن، وذلك يحثهم على سياسة اقتصادية توفق بين المصروف وبين ادخار ما يكفي لتهيئة مكان السكن ونفقة الزواج.

[التربية الفاشلة وطرق علاجها]

# الإكرام والرفق بالزوجة

الشيخ عباس امين العاملي

من حقها الاكرام، والرفق بها، واحاطتها بالرحمة والمؤانسة، قال الامام علي بن الحسين السجاد عليه السلام: «**واما حق رعيتك بملك النكاح، فأن تعلم أن الله جعلها سكناً ومستراحاً وأنساً وواقية، وكذلك كل واحد منكما يجب ان يحمد الله على صاحبه، ويعلم ان ذلك نعمة منه عليه، ووجب ان يحسن صحبة نعمة الله ويكرمها ويرفق بها، وان كان حقك عليها أغلظ وطاعتك بها ألزم فيما احبت وكرهت ما لم تكن معصية، فإن لها حق الرحمة والمؤانسة وموضع السكون اليها قضاء اللذة التي لا بد من قضائها**»[1].

وقد ركز اهل البيت عليهم السلام على جملة من التوصيات من اجل ادامة علاقات الحب والمودة داخل الاسرة، وهي حق للزوجة على زوجها، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**خيركم خيركم لنسائه وانا خيركم لنسائي**»[2]، وقال ايضا صلى الله عليه وآله: «**من اتخذ زوجة فليكرمها**»[3]، وقال الامام جعفر الصادق عليه السلام: «**رحم الله عبدا احسن فيما بينه وبين زوجته**»[4]، وجاءت توصيات جبرائيل عليه السلام الى الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله مؤكدة حق الزوجة، قال صلى الله عليه وآله: «**اوصاني جبرائيل عليه السلام بالمرأة حتى ظننت انه لا ينبغي طلاقها الا من فاحشة مبيّنة**»[5].

[الحياة الزوجية السعيدة]

(١) تحف العقول: ١٨٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٨١.

(٣) مستدرك الوسائل ٣: ٢: ٥٥٠.

(٤) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٨١.

(٥) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٧٨.

الإسجال بعد المغالطة
ابن ابي الاصبغ

«فاطمة سلام الله عليها»
العلامة محمد حسين الاصفهاني

الحوار الجمعي في القصة
د. محمود البستاني

خذوا الماء من عيني
الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء

أم البنين
الشاعر عقيل اللواتي

# الإسجال بعد المغالطة

ابن ابي الاصبع

وهو أن يقصد الشاعر غرضاً من ممدوح، فيأتي بألفاظ تقرر بلوغه ذلك الغرض، فيسجل عليه ذلك، مثل أن يشترط لبلوغ ذلك الغرض شرطاً يلزم من وقوعه وقوع ذلك الغرض، ثم يقرر وقوع ذلك الغرض مغالطة، ليقع المشروط كقول بعض المحدثين (بسيط):

**جاء الشتاء وما عندي لقرته...**

**إلا ارتعادي وتصفيقي بأسناني**

**فإن هلكت فمولانا يكفنني...**

**هبني هلكت فهبني بعض أكفاني**

وقد تأتي المغالطة بلا إسجال إذا أراد المتكلم إخفاء مراده فسأل عن شيء وهو يريد غيره بشرط أن يكون المسؤول عنه يتعلق بمراده تعلقاً قريباً لطيفاً، كقول أبي نواس( خفيف):

**أسأل القادمين من حكمان...**

**كيف خلفتم أبا عثمان**

**فيقولون لي جنان كما س...**

**رك من حالها فسل عن جنان**

**ما لهم لا يبارك الله فيهم...**

**كيف لم يغن عندهم كتمان**

فإنه سأل عن أخي سيد جنان وإنما أراد جناناً، ويقع الإسجال بغير مغالطة، وهذا القسم هو الذي يأتي في الكتاب العزيز كثيراً، ومنه قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ**﴾[غافر: ٨] والله أعلم.

[تحرير التحبير]

# الحوار الجمعي في القصة

د. محمود البستاني

هناك نمط من الحوار الذي تطبعه سمة (الجماعة) التي تتحدّث فيما بينها، دون أن يصاحبه (ردّ)، أي: أنَّه مجرد (حديث)، يتعاون المجموع في نقله داخل التجمّع، لا أنَّه حديث مع الآخرين، وردّ عليه، بل هو حوار أُحادي الجانب: كما لو كان هناك مجلس يتحدَّث فيه جماعة عن قضية معينة... وهذا النمط من الحوار له جماليته الفائقة أيضاً؛ من حيث كونه يجسّد حيويّة المجلس الذي يتحاور القوم فيه، أي أنَّه ينقل لنا صورة واقعية عن كلام قوم، وكأن القارئ حاضرٌ داخل مجلسهم يستمع إلى وقائع هذا المجلس. وأوضح نموذج لهذا النمط في الحوار الحي هو:

قصة الجن:

في سورة الجن، تواجهنا قصة تعتمد (الحوار) الخالص شكلاً قصصياً لها، دون أن يتخلّلها أي سرد عدا نهاية القصة، وهذا واحدٌ من أنماط البناء القصصي الذي يجسّد الشكل الثالث منه، أي القصة التي تعتمد الحوار وحده، مقابل ما تعتمد السرد لوحده، وما تعتمد كلاً منهما.

المهم أنّ القصة تبدأ بهذا النحو:

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجباً...﴾، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً۞ وَأَنَّهُمْ ظَنّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَن يَبْعَثَ اللهُ أَحَداً۞ وَأَنَّا لَمَسْنَا السّماءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً۞ وَأَنَّا كُنّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً۞ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبّهُمْ رَشَداً﴾.

إنّ هذا النمط من (الحوار) يبدو وكأنَّ البطل هو نفسه (قاص)، يسرد لنا (بضمير المتكلم) تفاصيل العمليات الفكرية التي يحياها. وأهمية مثل هذا الحوار ـ كما قلنا ـ أنَّها تضعنا وجهاً لوجه أمام وقائع المجلس الذي اجتمع فيه القوم، أو أمام قاص يسرد لنا قصته من خلال الحوار الداخلي.

لقد كشف هذا الحوار عن (أحداث) و(مواقف) واجهها أبطال الجن فيما يتصل برسالة الإسلام، بما صاحَبها من تغيير في سنن الكون، ومنها: عدم السماح بهذا العنصر (الجان) من الصعود إلى السماء والاستماع إلى الملائكة ومشاهدة الشهب، بعد أن كانت لهم حرية التنقّل قبل ذلك.

ولا يخفى على القارئ أهمية مثل هذا الحوار الذي كشف عن وقائع خطيرة في الظاهرة الكونية، واستخلاصه أهمية الرسالة الإسلامية في هذا الصدد، ليس من خلال تقريرٍ عملي، بل من خلال لغة فنّية يحدِّثنا أبطال الجن بأنفسهم عن الوقائع المذكورة.

القارئ مدعوّ للمرة الجديدة الى أن يتابع حيوية مثل هذا الحوار الجماعي، وأهميته في نقل الحقائق الخطيرة من خلال لغة مُمتعة يحياها القارئ وكأنَّه واحد من الحاضرين.

[الإسلام والفن]

# «فاطمة سلام الله عليها»

## الشيخ محمد حسين الاصفهاني الغروي قدس سره

جوهرة القدس من الكنز الخفي ... بدت فابدت عاليات الاحرف
وقد تجلى من سماء العظمة ... من عالم الاسماء اسمى كلمة
بل هي ام الكلمات المحكمة ... في غيب ذاتها نكات مبهمة
ام ائمة العقول الغربل ... ام ابيها وهو علة العلل
روح النبي في عظيم المنزلة ... وفى الكفاء كفو من لا كفو له
تمثلت رقيقة الوجود ... لطيفة جلت عن الشهود
تطورت في افضل الاطوار ... نتيجة الادوار والاكوار
تصورت حقيقة الكمال ... بصورة بديعة الجمال
فإنها الحوراء في النزول ... وفي الصعود محور العقول
يمثل الوجوب في الامكان ... عيانها باحسن البيان
فانها قطب رحى الوجود ... في قوسي النزول والصعود
وليس في محيط تلك الدائرة ... مدارها الاعظم الا الطاهرة
مصونة عن كل رسم وسمة ... مرموزة في الصحف المكرمة
صديقة لا مثلها صديقة ... تفرغ بالصدق عن الحقيقة
بدا بذلك الوجود الزاهر ... سر ظهور الحق في المظاهر
هي البتول الطهر والعذراء ... كمريم الطهر ولا سواء
فإنها سيدة النساء ... ومريم الكبرى بلا خفاء
وحبها من الصفات العالية ... عليه دارت القرون الخالية
تبتلت عن دنس الطبيعة ... فيالها من رتبة رفيعة
مرفوعة الهمة والعزيمة ... عن نشأة الزخارف الذميمة
في افق المجد هي الزهراء ... للشمس من زهرتها الضياء
بل هي نور عالم الانوار ... ومطلع الشموس والاقمار
رضيعة الوحى من الجليل ... حليفة لمحكم التنزيل
مفطومة من زلل الاهواء ... معصومة عن وصمة الاخطاء

معربة بالستر والحياء ... عن غيب ذات بارئ الاشياء
راضية بكل ما قضى القضا ... بما يضيق عنه واسع الفضا
زكية من وصمة القيود ... فهي غنية عن الحدود
يا قبلة الارواح والعقول ... وكعبة الشهود والوصول
من بقدومها تشرفت منى ... ومن بها تدرك غاية المنى
وبابها الرفيع باب الرحمة ... ومستجار كل ذي ملمة
وما الحطيم[1] عند باب فاطمة ... بنورها تطفأ نار الحاطمة[2]
وبيتها المعمور كعبة السما ... اضحى ثراه للثريا ملثما
وخدرها السامي رواق العظمة ... وهو مطاف الكعبة المعظمة
حجابها مثل حجاب الباري ... بارقة تذهب بالابصار
تمثل الواجب في حجابها ... فكيف بالاشراق من قبابها

# خذوا الماء من عيني

## الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء

خذوا الماء من عيني والنار من قلبي ... ولا تحملوا للبرق منا ولا السحب
ولا تحسبوا نيران وجدي تنطفي ... بطوفان ذاك المدمع السافح الغرب
ولا أن ذاك السيل يبرد غلتي ... فكم مدمع صب لذي غلة صب
ولا أن ذاك الوجد مني صبابة ... لغانية عفراء أو شادن ترب
نفى عن فؤادي كل لهو وباطل ... لواعج قد جرعنني غصص الكرب
ابيت لها أطوي الضلوع على جوى ... كأني على حجر الغضا واضع جنبي
رزاياكم يا آل بيت محمد ... أغص لذكراهن بالمنهل العذب
عمى لعيون لا تفيض دموعها ... عليكم وقد فاضت دماكم على الترب

(١) الحطيم: جدار حجر الكعبة وقيل ما بين الركن وزمزم والمقام.
(٢) الحاطمة: اسم لجهنم والحطمة: النار الشديدة.

وتعساً لقلب لا يمزقه الاسى ... لحرب به قد مزقتكم بنو حرب
فواحرتا قلبي وتلكم حشاشتي ... تطير شظاياها بواحرتا قلبي
أأنسى وهل ينسى رزاياكم التي ... ألبت على دين الهداية ذولب
أأنساكم هوى القلوب على ظمى ... تذادون ذود الخمس عن سايغ الشرب
أأنسى بأطراف الرماح رؤوسكم ... تطلع كالاقمار في الانجم الشهب
أأنسى طراد الخيل فوق جسومكم و ... ما وطأت من موضع الطعن والضرب
أأنسى دماء قد سفكن وادمعا ... سكبن واحرارا هتكن من الحجب
أأنسى بيوتا قد نهبن ونسوة ... سلبن وأكبادا اذبن من الرعب
أأنسى اقتحام الظالمين بيوتكم ... تروع آل الله بالضرب والنهب
أأنسى اضطرام النار فيها وما بها ... سوى صبية فرت مذعرة السرب
أأنسى لكم في عرصة الطف موقفاً ... على الهضب كنتم فيه أرسى من الهضب
تشاطرتم فيه رجالا ونسوة ... على قلة الانصار ـ فادحة الخطب
فأنتم به للقتل والنبل والقنا ... ونسوتكم للاسر والسبي والسلب
اذا أوجبت أحشاءها وطأة العدى ... علا ندبها لكن على غوثها الندب
وان نازعتها الحلي فالسوط كم له ... على عضديها من سوار ومن قلب
وان جذبت عنها البراقع جددت ... براقع تعلوهن حمرا من الضرب
وان سلبت منها المقانع قنعت ... اذا بثت الشكوى عن السلب بالسب
وثاكلة جنت فما العيس في الفلا ... وناحت فما الورقاء في الغصن الرطب
تروي الثرى بالدمع والقلب ناره ... تشب وقد يخطي الحيا موضع الجدب
تثير على وجه الثرى من حماتها ... ليوث وغى لكن موسدة الترب
نيام على الاحقاف لكن بلا كرى ... ونشوانة الاعطاف لكن بلا شرب
فكم غرة فوق الرماح وحرة ... لآل رسول الله سيقت على النجب
وكم من يتيم موثق ليتيمة ... ومسبية في الحبل شدت الى مسبي
بني الحسب الوضاح والنسب الذي ... تعالى فأضحى قاب قوسين للرب
اذا عدت الانساب للفخر أو غدت ... تطاول بالانساب سيارة الشهب
فما نسبي الا انتسابي اليكم ... وما حسبي الا بأنكم حسبي

# أم البنين عليها السلام

الشاعر عقيل اللواتي

أم البنين عليها الله قد سدلا
جلباب فضلٍ به جبريلُ قد نزلا

تجلببت فاطمٌ جلباب خالقها
لما استقرت ببيتٍ آلهُ فُضلا

عاشت مكرمةً في بيت حيدرةٍ
كما يعيشُ الذي للخلد قد وصلا

أضحتْ تُربي بني الزهراءِ تخدمهم
كالأم صارت لهم، أنعم بها مثلا !

واستأثرتْ اسمها أكرم بما نطقتْ
((أم البنين أنا لا أرتضي بدلا))

اسمي يهيجُ عليهم حزن أُمهمُ
إن قيل:فاطم قال:الدمع حيِّ على

فلا أحبُّ بأنْ تبكي لهم مقلٌ
و لا أحبُّ لهذا الحزن أنْ يصلا

أم البنين أنا والكلُّ يعرفني
في كنيتي نبأً بالغيب متصلا

أم البنين أنا والله أيدني
بأنجم نورها تا الله ما أفلا

علمتهم حب أهل البيت في صغر
فاستعصموا بالولا والقصدُ قد حصلا

قد قدموا النفس في مرضاة خالقهم
فالبذلُ شيمتهم، أعظم بما بُذلا!

واسترخصوا الروح في إنقاذ سيدهم
أعني الحسين ولكن بالظما قُتلا

يا ليتني قد طواني الموتُ قبلهمُ
و لا سمعتُ بناعي الطف قد دخلا

إلى المدينة ينعى وهو منتحباً
يا أهل يثرب عنكم عزكم رحلا

سائلتُهُ وفؤادي نارُهُ اضطرمتْ
أين الحسين؟ ودمع العين قد هملا

تصبري فاطمٌ أشبالكم قتلوا
و ذاك مربعهم بعد الأنيس خلا

أين الحسين؟ سؤالي هل تجاوبني؟
فإن قلبي من الأحزان قد شعلا

فقال: عذرا فعباسُ الإباءِ رقى
عرش الشهادة لما خرَّ منجدلا

ناديتُهُ وهو باكٍ أين سيدهم؟
فقال: سيدهم في كربلا قُتلا

ثاوٍ على الأرض والأملاكُ تحرسُهُ
ملقى ثلاثاً ولا شُلوٌ له حُملا

وعندها صحتُ وا حزني على ولدي
و بعدهُ لم أزل في كربةٍ وبلا

# يا نفس

كم لله من عبد لا يعرف ربا سواه، ولا يتخذ إلهه هواه، وجهه وضي، وفعله رضي، وقلبه سماوي، وجسمه أرضي، في الوجد سكران ملطخ، وفي الخوف عصفور نصب له فخ، لا يذوق في العشق نومة نائم، ولا يخاف في الصدق لومة لائم، لا يسترزق لئام الناس، ويقنع بالخبز اليباس، إذا أثرى جعل موجوده معدوما، وإن أقوى حسب قفاره مأدوما، ثوب بال، وجوف خال، ومجد عال، يرى ربوة الحق فيرتقيها، ويرمق هوة الباطل فيتقيها، لا يدعوه القوم إلى أكل الجيف، ولا يبلغه النهم إلى حد السرف، يأكل ليقوى على الاجتهاد وينام ليصبر على السهاد ، ينظر إلى طعامه من أين حصل، وكيف وصل، ومن حصده وزرعه، ومن داسه ورفعه، ومن الكيال والطحان، ومن الخباز والعجان ؟

فلا يزال يفحص حتى يخلص إبريزه على نار السبك، ويكمل عياره على المحك، ويشذب تخيله عن شوك الشك، فهكذا خشية الاتقياء يجفلون كما النعام، ولا يأكلون كما تأكل الانعام.

[محاسبة النفس اللوامة ، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي]